مدينتي
كتاب حول المدن
الأميركية

مدينتي

كتاب حول المدن الأميركية

جدول المحتويات

المقدمة بقلم كلير مسعود 2

شعر الجسور بقلم ديفيد بوتومز 7

بالتيمور القديمة المحببة بقلم جوناثان ياردلي 13

أشباح بقلم كارلو روتيلا 19

شيكاغو تتوهج بلون الزبرجد بقلم ستيوارت ديبيك 25

هيوستن: مدينة تجريبية بقلم فريتز لانام 31

أرض الأحلام بقلم جوناثان كليرمان 37

السير نائماً في ممفيس بقلم ستيف شتيرن 45

ميامي، دياري في نهاية المطاف بقلم إدنا بوكانان 51

عندما نحدق النظر بنيو أورلينز بقلم كريستينا فورد 59

ابن بروكلين بقلم بيت هاميل 65

عاصمة لكاتب بقلم توماس مالون 73

المقدمة

من كلير مسعود

كلير مسعود هي مؤلفة لثلاث روايات وكتاب قصص قصيرة. وأحدث رواياتها "أطفال الامبراطور" اختارتها صحيفة نيويورك تايمز من بين أفضل عشرة كتب للعام 2006. كما كانت بين المرشحين النهائيين مرتين لنيل جائزة بن/فولكنر. وحصلت على زمالات دراسية من مؤسسة غوغنهايم، ومعهد رادكليف، ومركز العلوم الإنسانية في جامعة هارفرد. تعيش مع عائلتها في كامبريدج، ولاية مساتشوستس.

أكثر من ثلاثة أرباع الأميركيين يعيشون في المدن. وفي عصرنا المعولم يميل المرء إلى تصور أن التجارب في المدن لها طبيعة متشابهة: ناطحات سحاب، قطارات أنفاق وسلاسل المتاجر، كثافة من الطوب والناس، شعور بالاستعجال والسعي الحثيث. المقالات الواردة في هذه المجموعة توضح مدى خطأ ذلك الافتراض: من أرض أحلام لوس أنجلس التي وصفها جوناثان كيلرمان، إلى اليقظة النابضة بالحيوية لميامي التي وصفتها أدنا بوكانان، ومن العمارات السكنية التي بنيت في منتصف القرن الماضي لبروكلين التي أحبها بيت هاميل إلى القناطر المسكونة بالأشباح في حي بلسين في شيكاغو التي وصفها ستيوارت ديبيك، ومن الجمال الطبيعي والتنوع البشري لسياتل التي وصفها تشارلز جونسون، إلى الخرافات الماضية والحالية لنيو أورلينز التي وصفها ريتشارد فورد، كل هذه الذكريات والتأملات تستحضر لنا الثراء والغرابة لحياة الفرد في المدن، بنفس الطريقة التي تتشابك فيها تخيلاتنا وهواياتنا ورواياتنا الأدبية في شوارع ومباني المدينة، وفي روائحها وأصواتها.

نخلق مدناً في أذهاننا، وأحياناً حتى قبل أن نراها على الإطلاق، وأحياناً حتى بعد أن نفقد أملنا في رؤيتها، من القصاصات والروايات التي جمعناها، ومن الكتّاب الذين قرأنا أعمالهم. بهذه الطريقة، ترعرع ديفد بوتومز في مدينة صغيرة في الجنوب متخيلاً الوجود العالمي لمدينة أتلانتا، وأعاد ستيف ستيرن اكتشاف مسقط رأسه ممفيس من خلال القصص الخرافية الشبيهة بكتابات باشفيز سينغر عن اليهود المهاجرين إليها. وبوسطن التي وصفها كارلو روتيلا مسكونة بحياة أشباحها التي اكتشفها خلال جولاته أثناء الليل: طيور مالك الحزين وذئاب البراري، بالتأكيد، ولكن أيضاً مواطنيها الموتى، الذين تزين أسماؤهم المنتزهات العامة وعنابر القوارب، كتذكير عن أعمالهم

بلتيمور

أتلانتا

ونزواتهم. وبلتيمور التي وصفها جوناثان ياردلي ما هي إلاّ حوار أدبي بين الماضي والحاضر، من إدغار ألن بو إلى آن تايلر.

بالنسبة لأيٍ منا، لا توجد سوى مدينة معينة فقط تتعلق بنا. وتماماً لكونها تعج بحياة الكثيرين، فليس لديها أي حياة حقيقية موضوعية أو مستقلة. لا تستطيع أن تقول إن نيويورك دونالد ترامب هي أكثر أو أقل واقعية من بائع متجول هو بالأصل من كراتشي. بهذه الطريقة، فإن خيالنا الفردي يُشكِّل الطريق الوحيد للدخول إلى قلب المدينة. وأي مطالبة عامة ستكذبها التجربة الخاصة. وأي شيء تظن أنك تعرف أنه من الممكن دحضه- وهذا لا يجعل منه، طِبقاً لذلك، أمرا غير صحيح. هذا، بالطبع، هو الذي يجعل البيئات المدينية تملك هذه القوة المحررة: فليس كل واحد منا يخلقها لنفسه، ولكن يمكننا من خلالها أيضاً أن نخلق أنفسنا من جديد- موضوع يتكرر في العديد من مقالات المجموعة هنا.

إذاً، فإن الانتماء إلى مدينة ما هي إلا مسألة اختيار. وبعكس البلدة الأصغر، حيث عدم التجذر وعدم الرضا يفصلان المرء عن غيره (قالت لوري مور مازحة عن ماديسون، ولاية ويسكنسون التي جعلتها بلدتها: "يعتقد بعض الناس أنني كنت انتقادية. فإذا كتبت بعين أحد من خارج البلدة، فهذا أمر جيد. ولكن بعد أن تفعل ذلك عليك أن تتحرك... وهذا هو الخطأ الذي ارتكبته. إذ لم أخرج من البلدة". (مقابلة نشرت في صحيفة "ذي أوبزرفر، في 11 نيسان/أبريل، 2010). تستطيع المدن أن تستوعب غير الملتزمين بنفس السهولة التي تستوعب بها المهتدين المتحمسين لها، والمتبنين لها وسكانها الأصليين، المتجذرين بشدة والأشخاص المزعجين على حدٍ سواء. وبسبب طبيعتها نفسها تستطيع أن تكون المدينة حبيبة مثالية: تعطي دون أن تطلب، وتعطي أكثر كلما ازداد طلبك.

ولكن بالرغم من مرونتها، تحمل كل مدينة شخصيتها الفردية، خصوصيتها وأجواءها الخاصة. مذاق الهواء، عرض الشوارع، أصوات حركة السير، التاريخ، الحجارة، الأحاديث المسموعة- أي أن المدينة مصنوعة من كافة هذه الأشياء الملموسة التي لا يمكن تخيل اندثارها. وبصورة غامضة، سوف يجد كل واحد منا المدينة التي تحكي قصة حياتنا الشخصية حتى ولو استغرق ذلك وقتاً (كما حدث بالنسبة لإدنا بوكانان لكي تجد ميامي)، أو حتى إذا عدنا إلى مكان اعتقدنا أننا هربنا منه (كما فعل ستيف ستيرن في ممفيس).

عشت طوال تلك السنوات في بادئ الأمر وأنا مغرمة بنيويورك، المدينة المتعذرة المنال التي لم تبادلني هذا الغرام (حيث لم أعش فيها أبداً، رغم أنني كتبت رواية تدور أحداثها هناك كطريقة لإشباع عاطفتي)، انطلق بسرعة للعيش مع أصدقاء عند كل فرصة تسنح لي وأقدم طلبات لشغل وظائف كان من غير الممكن أبداً أن أقبلها. وفي نهاية المطاف، بعد أن تخليت عن نيويورك، أمضيت بقية حياتي في واشنطن أحاول الابتعاد.

أولاً، نزولاً عند إلحاحي، ذهبنا للعيش في مستعمرة فنانين في فرنسا، وبعدها أمضينا فترة ثلاثة أشهر في باريس. ثم تسلمت وظيفة تدريس في ولاية تنيسي لفصل دراسي ثم جررت زوجي إلى غرب مساتشوستس لمدة امتدت لسنتين، دون التخلي عن روابطنا بواشنطن العاصمة، استأجرنا شقتنا الصغيرة المحبوبة في شارع أدامز مورغان، خلف فندق الهيلتون السيئ السمعة حيث سبحت بسعادة في البركة لفترة ستة أشهر من السنة.

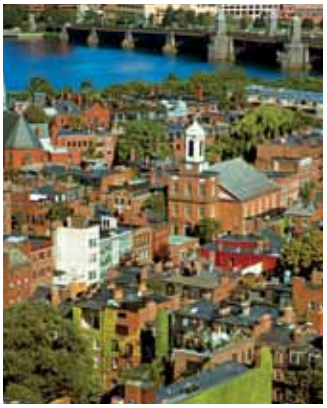

بوسطن

شيكاغو

هيوستن

لوس أنجلس

(أقول "محبوبة" لأنه رغم عدم رغبتي الفعلية في العيش في واشنطن، بنينا هناك مع مرور الزمن حياة صغيرة أحببتها). وبعد مساتشوستس، قضيت فصلا دراسيا واحدا في ولاية أوهايو، ثم عدنا إلى واشنطن فقط لبيع شقتنا، والتمتع بآخر سباحة لي، والانطلاق إلى الشمال في أوائل أيلول/سبتمبر الحار، في سيارتنا المتثاقلة مع جرارها. ومرة أخرى، فإن وظيفة زوجي هي التي قررت المكان الذي سوف ن فإذا كانت واشنطن تُشكِّل العلاقة غير المستقرة خلال فترة الثلاثينات من عمري، فقد أثبتت بوسطن أنها فترة الزواج المستقر لأربعينات عمري.

فقد التحقت بمدرسة داخلية هنا، قبل سنوات طويلة، وهكذا كان لحياتي الآن منطق العلاقات السطحية: ألتقي بالصدفة في صالون تصفيف الشعر أو في الملعب الرياضي برفاق صفي الذين فقدت أخبارهم منذ مدة طويلة، ويسعدني عندما أجد أنهم ما زالوا يتنفسون، ومن ثم التحرك مجدداً.

عيش فيه، ولكني لم أعد حاقدة الآن بسبب هذا الواقع: أتمتع بحريتي في الذهاب والإياب، في مغازلة مدن أخرى وتخيل أشكال أخرى من الحياة، ولكنني دائماً ضمن معرفتي بأننا قانعون بصورة أساسية، وأن المدينة، رغم أنها لربما ليست مثيرة، فقد كانت معقدة وجميلة ومثيرة للاهتمام، تنعم بفنون عظيمة وبموسيقى رائعة، مع جزر سرية، مع نهرها المتلألئ، مع شواطئها القريبة وجبالها، ومع عدد غير متناسب من الناس الآسرين، والكثيرين منهم من الشباب بسبب وجود عدد لا يحصى من الجامعات. إنها مدينة كان ماضيها متألقاً أكثر من حاضرها، وهناك نوع الارتياح، الاسترخاء بسبب ذلك.. وهي تبدو كمدينة أمستردام، في هذا المجال.

بطرق عديدة فإنني لا أنتمي – لست من المواطنين المحليين، ولا انخرط بشكل خاص بالتقاليد الموروثة للمدينة أو لسكانها، أبقى، كما أقول، غير منتمية مهنياً هناك – ولكنني بدلاً من ذلك أتزلج على السطح الجميل للمدينة كما يفعل صاحب مركب مائي على بركة مياه. يدهشني الارتباط الحميم لأطفالي بهذا المكان، المكان الوحيد الذي عرفوه بالفعل. أحب أن أرى أنهم يشعرون بإحساس الانتماء الأمر الذي لم أعرفه أبداً، ولن أعرفه مطلقاً، وأشعر بأنني ممتنة لبوسطن لهذا الأمر.

ويبقى السؤال إذا، في حال كان نظام المدن التي عرفتها معكوساً، كنت قد جربت بوسطن في الثلاثينات من عمري، بتردد غير مستقر واعتنقت واشنطن كموطن عائلتي، إن لم يكن كموطن لقلبي. ما المدى الذي ساهمت به المدن نفسها في تحديد تجربتي، وما المدى الذي حددته أنا لوحدي؟ لا شك ان واشنطن القائمة في ذاكرتي شكلتها روحي في ذلك الوقت، من خلال الحنين والخسارات والآمال، ولكل الأشياء الأخرى.

ولكن من الصحيح القول أيضاً إن الحياة النباتية والحيوانية كانت غريبة بالنسبة لي (الأوراق الكبيرة المشمعة لأشجار المنغوليا أمام الشقق، المنعطفات المتضخمة الشبيهة بالمستنقعات لمتنزه روك كريك، الصراصير الصيفية التي تتبختر بحشودها عبر الشارع رقم 19 خلال الليل، بينما الجرذان ترقص على قوائمها الخلفية على قطعة العشب الأخضر خارج مبنى شقتنا). والطقس (الأمطار كالشلالات الغزيرة، ودرجة الحرارة الشديدة) والتحركات الناعسة لسكان المدينة، ترنح سيارات الأجرة على طول الشوارع العريضة الفارغة من الناس، الأعين نصف المغلقة للمباني البيضاء الضخمة في وسط المدينة – كانت كل هذه الأشياء غريبة عني، وفاقمت من

نيويورك

نيو أورلينز

ميامي

ممفيس

حدة شعوري بالاغتراب.

المدينة هي أساطيرها، ولكنها أيضاً نباتاتها وحيواناتها وأحجار البناء فيها. لقد أعدت من جديد في بوسطن اكتشاف حيوانات الغرير والظرفان الذين عرفتهم في طفولتي الكندية، وحتى عندما تبدو مواسم أشجار القيقب، من تبرعم الأوراق إلى التفافها إلى الألوان المشعة الخريفية، مألوفة في كل تفصيل لها. هناك زوايا من ضوء الشمس- ضوء الشتاء الصافي البارد الخالي تقريباً من الظلال، وضوء صباح صيف أخضر شاحب، وسديم الضباب كالحب- يتردد صداه في ذاكرتي ويحمل لي السعادة بسبب ذلك فقط.

هناك أشباح المدينة التي أشار إليها كارلو روتيلا في مقالته، لكن بالنسبة لي، أيضاً، هناك شبح نفسي المراهقة، مرتدية الملابس الرخيصة التي اشتريتها من متاجر الملابس المستعملة، وشعر مقصوص بغير انتظام، أتسكع في الحدائق العامة وفي شارع نيو بري ضمن مجموعة من الفتيات، نحتسي القهوة وندخن سجائر بنكهة القرنفل في ساحة هارفرد، نلعب وكأننا أصبحنا راشدات، واختبر أول حرية لي. لا يزعجني كثيراً، هذا الشبح، ولكنه يطمئنني بأن هذا المكان حقيقي فعلاً.

كتب مارسيل بروست في روايته ”بحثاً عن الوقت الضائع“، عن المشهد الطبيعي لنزهات المشي خلال طفولته ” رسمت لي في كافة الأوقات حدود الريف حيث أرغب في أن أعيش... سواء كان الإيمان الذي يخلق قد جف في داخلي، أو أن الحقيقة تأخذ شكلاً لها في الذاكرة فقط، فالأزهار التي تعرض علي اليوم للمرة الأولى لا تبدو لي أنها أزهار حقيقية.“ بالنسبة لأي مكان، ولكن بالأخص بالنسبة لأي مدينة تعيش فيها، يجب أن يكون لديك إيمان بها، بحقيقتها وبأهميتها. لا يكفي أن تكون سائحاً، تُعجب بلا مبالاة بالساحات والممرات. يجب أن تمنحها أساطيرها، أو على الأقل أساطيرك أنت. ما عدد الفرص التي تقدمها لك هذه البلاد، لكي يكون لدينا إيمان بالإيقاعات والتركيبات المختلفة، بالحقائق الغزيرة والمتنوعة والأحلام المترافقة معها التي تمتد من سياتل إلى هيوستن، من بوسطن إلى لوس أنجلس. المقالات الواردة في هذا الكتاب تشهد على هذا التنوع، على الحياة الملموسة والخيالية التي تتجمع وتتفتح في كل زاوية، وفي كل ذهن متفتح وخلاق.

واشنطن

SouthTrust

شعر الجسور

سُئل مرة روبرت بن وارن، الذي ولد وترعرع في غوثري، بولاية كنتاكي، عما إذا كان يعتبر نفسه كاتباً جنوبياً. وكان جوابه، "ماذا يمكن أن أكون غير ذلك؟" وكان يعني بذلك أن مكان ولادته ونشأته قد صاغ شخصيته بطريقة مميزة وغير قابلة للتحول. كل تفاعل له مع العالم كان ملوناً بالتاريخ وبالقاعدة الاجتماعية لمنطقته. هذا لا يعني أنه كان فخوراً دائما بهذا التاريخ أو أنه كان يوافق دائماً على هذه القاعدة، إلا أنه لا يستطيع العيش بصورة مستقلة عنها.

يعاني الجنوب الأميركي من عدد كبير من المفاهيم الخاطئة التي يحملها الناس تجاهه في أجزاء أخرى من العالم، ولذا يضطر جميع الكتاب المولودين تحت خط مايسون ديكسون إلى أن يتوصلوا في نهاية المطاف إلى تفاهم مع هذه الأسطورة وواقع "الجنوب" على حدٍ سواء. وهذا ينطوي على مواجهة بعض الحقائق المزعجة المتعلقة بالتعصب، والعنف، والاستغلال العنصري. ومع ذلك، فإنه يجدر بنا أن نتذكر أن هذه العيوب الإنسانية ليست حكراً على منطقتنا. فالمقولة الشعبية السائدة هي أن لدى الجنوب خطايا رهيبة في ماضيه وحاضره، إلا أنه يتضمن أيضا العديد من الفضائل المميزة.

وهذا صحيح بالتأكيد ، ولكن يمكن أن يقال ذلك عن أي جزء من العالم. فما يميز الجنوب الأميركي هو واقع كونه خسر حرباً جرى خوضها إلى حد كبير بسبب أعماله اللا أخلاقية المستعصية الحل. وهذا يبدو لي نقطة مقنعة لا سيما عندما يتعلق الأمر بعمل كتابها. الجنوب هو منطقة تعاني من جراح، والقلب المجروح يسعى دائماً إلى التعالي. عندما يكون الجرح ثقافياً، تميل الاستجابة الشخصية إلى اللجوء إلى الدين أو الفن. وفي هذا السياق العريض أصبح الجنوب بعد انتهاء الحرب الأهلية أرض المبشرين والشعراء.

أي كاتب يتحدث بأي قدر أمام الجمهور سيُسأل حتماً كيف أصبح كاتباً. وأي كاتب من الجنوب سيُسأل في نهاية المطاف كيف أثّرت النشأة هناك على عمله أو عملها. لقد تأملت في هذه الأسئلة لأنها كانت دائماً ألغازاً بالنسبة لي. لقد نشأت في الخمسينات من القرن العشرين، في سفوح جبال شمال جورجيا، ولا شيء في عائلتي أو مجتمعي أوحى أبداً بأني قد أخربش كلمة واحدة على صفحة.

أنا لم آت من عائلة تمارس القراءة. لم أشاهد مرة خلال طفولتي أيّا من والديّ يتناول كتاباً لغرض المتعة والمطالعة. إنهما بكل بساطة لم يكونا من الناس الذين يهوون الكتاب ويعشقونه. كانا من أطفال الذين عاشوا في حقبة الكساد الكبير، وقد كدحا في عملهما بجد طوال حياتهما. كان التلفزيون وسيلة التسلية الوحيدة التي كان لديهما الوقت لها. معظم الكتب في منزلنا تخصني، ومعظمها كانت كتب

للشاعر ديفيد بوتومز

نشر ديفيد بوتومز سبعة دواوين شعر، وروايتين، وكتاب مقالات/مقابلات. تشمل الجوائز العديدة التي نالها جائزة ويتمان لأكاديمية الشعراء الأميركيين، وجائزة في الأدب من الأكاديمية الأميركية للفنون والآداب. ويشغل كرسي آموس المميزة في الأدب الإنجليزي في جامعة ولاية جورجيا، ويشغل منصب الشاعر الرسمي لولاية جورجيا.

قبة جورجيا.
على الصفحة المقابلة: منظر الأفق لمدينة أتلانتا كما يظهر من خلف جسر الشارع 17.

مدرسية. جدتي آش كان لديها 10 روايات أو نحو ذلك مكدسة بترتيب على رف صغير في غرفة الجلوس – واثنان منها كانا بعنوان "ذهب مع الريح" لمارغريت ميتشل، أحدهما بغلاف مقوى والآخر بورق عادي.

ومن الغريب، أنني نشأت مغرما بالقراءة. وكان هذا في المقام الأول بسبب تشجيع والدتي ومكتبة صغيرة تعود إلى معلمتي في الصف الثاني. رغم ذلك، عندما كنت صبياً كنت أقضي جل أوقات فراغي وأنا أمارس الرياضة - وفي حالتي كانت هذه لعبة البيسبول. وكانت ممارسة الرياضة شيئاً متوقعاً بالنسبة لصبي مثلي يقيم في بلدة صغيرة مثل كانتون، في حين أن الكتب، والموسيقى الجدية، والفن، وأي شيء تقريباً يسمى ثقافيا فقد كان ينظر إليه بارتياب عميق. وإذا لم يتم كبح جماح هذه الأشياء، فقد كانت تتعارض في نهاية المطاف مع المبادئ المسيحية الأصولية.

عشنا في المنطقة التي يطلق عليها حزام الكتاب المقدس، وأحياناً شعرنا بأننا نعيش مباشرة على الجزء الأصعب من نقطة الربط. والمفارقة هنا أن أول ذكرياتي باللغة الشعرية تعود إلى منتصف الخمسينات من القرن العشرين، والطابق السفلي للكنيسة المعمدانية الأولى في كانتون. ما زلت أتذكر صفوف الكراسي الصغيرة المستديرة الظهر مقابل اللوح الأسود حيث كان أطفال الدائرة الابتدائية لمدرسة الأحد يلتقون كمجموعة للغناء. في تلك الغرفة تعرفت لأول مرة على جمال، ومديح، وغضب كتاب المزامير.

وحتى في ذلك الحين، وذلك عندما كنت صبياً بين السابعة والثامنة من عمري، شعرت بشيء ما في تلك اللغة الإنجليزية القديمة والغريبة يلمح إلى الدنيوي الآخر، إلى المقدس. أنا أتحدث، بطبيعة الحال، عن ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدس. أي شاعر يمكنه أن يجادل هذا الرثاء التعذيبي في المزمور 102:

أعلاه الى اليسار: إطلالة الصباح على مدينة أتلانتا.

أعلاه: مسرح فوكس القديم في أتلانتا.

فوق: أول عرض لفيلم "ذهب مع الريح" كان على شاشة مسرح لوز الكبير في شارع بيتشتري سنة 1939.

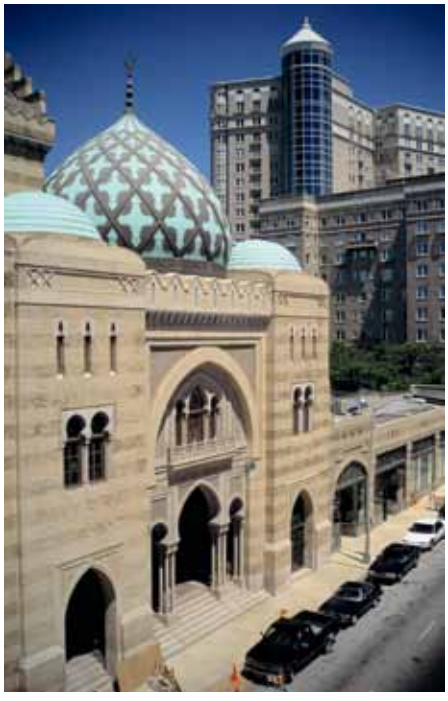

إلى اليسار: مسرح فوكس الذي بني أصلاً في عشرينات القرن العشرين كمركز رئيسي لجماعة "يعرب شراينرز أوف أتلانتا". يدمج بين الهندسة المعمارية الإسلامية والمصرية.

أعلاه: أطفال يلعبون بنوافير المياه للمتنزه الأولمبي المئوي في أتلانتا الذي بني بمناسبة الألعاب الأولمبية التي جرت في العام 1996 هناك.

"أيامي كظل مائل، وأنا مثل العشب يبست". أو الرسالة الجميلة التي تحمل أملاً بلا حدود من المزمور 23: "الرب راعيّ، فلا يعوزني شيء. في مراع خضر يربضني: إلى مياه الراحة يوردني."

وثمة مصدر آخر للشعر غمرني بأمواج من اللغة والصور وهي التراتيل التي كنا نغنيها في الكنيسة. "صخرة العصور، انشقي لي، واسمحي لي أن أختفي في داخلك"، أو واحدة من تراتيلي المفضلة، "لنجتمع عند النهر، حيث سلكته أقدام الملاك المشرق؟" كانت جدتي بوتومز تغني بصوت أجش أغنيتين من العهد القديم، واحدة بعد الأخرى، وعلى الدوام تقريبا كلما كانت تقوم بعملها المنزلي - "أنا سألقي بأعبائي، بجانب النهر" و"في صباح سعيد عندما تنتهي هذه الحياة، سوف أطير بعيدا". هناك فكرة. هذه المزامير والأغاني - التعبير عن الأمل للكثير من الجنوبيين في بلدة صغيرة - كانت تجربتي الأولى مع اللغة كفن. وكانت أيضاً مواجهاتي الأولى مع المعاني الرمزية للغة، مع لغة تسعى إلى التعالي. كانت من نواح عديدة نوع التعريف الذي من غير الممكن ان أتلقاه إلاّ في بلدة صغيرة مثل كانتون.

مبنى الكابيتول لولاية جورجيا، الذي أنجز بناؤه في العام 1889. يُشكّل معلماً بارزاً في تاريخ الهندسة المعمارية الأميركية في القرن التاسع عشر.

وكانت أتلانتا، الواقعة على بعد حوالي 40 ميلاً إلى الجنوب على الطريق الذي يحمل الرقم 5 في جورجيا، إنه مكان يختلف اختلافا جذريا. كانت مكانا للثقافة. وكانت تضم المتاحف، والمكتبات، والجامعات والمتاحف الفنية، وفرقة موسيقى سيمفونية. وكان مجلس نواب الولاية هناك، وتحت قبته الذهبية وضع المشرعون القوانين التي حكمت الولاية. ولكن أكثر من كل هذا كانت مدينة أتلانتا لها تاريخ عريق، تاريخ تطور إلى أسطورة قوية. إبان السنوات الأولى من طفولتي، كان أول حدث تاريخي قد أثّر عليّ حقاً هو الحرب الأهلية الأميركية.

في المدرسة الابتدائية كانت دفاتر زملائي في الصف مغطاة برسوم لراية المعركة للقوات الكونفدرالية، وفي المنزل كانت جدتي تروي القصص حول نساء

كانت تعرفهن خلال طفولتها وقد شهدن بالفعل قوات شيرمان تحرق كل ما في طريقها عبر جورجيا. لم تكن تجربتي فريدة من نوعها، وأنا وأصدقائي استمدينا هوية مشتركة معينة من كل هذا، دون أن نعرف الكثير عن الأسباب الفعلية وطريقة شن تلك الحرب. كانت الأمور ببساطة ما كانت عليه، ووجدنا أنفسنا، لسبب غير مفهوم، جزءاً من ثقافة كان فيها السود يعيشون ويعملون إلى جانب هوة عميقة والبيض على الجانب الآخر. كل ذلك له علاقة بالتاريخ، كان أول ما يربطنا بذلك التاريخ هو مدينة أتلانتا، مكان غامض لم يكن سوى القليل منا قد زاره على الإطلاق.

وكانت أول ذكرى لي عن تلك المدينة رحلة قمنا بها إلى سينما فوكس. كنت في الثانية عشرة من عمري عندما أخذتنا الصديقة المفضلة لوالدتي بسيارتها إلى عرض صباحي لفيلم ذهب مع الريح. وكان مبنى سينما فوكس بكل سهولة أغرب مبنى رأيته في حياتي. تمّ إنشاء هذا المبنى في العشرينات من القرن العشرين كمركز رئيسي لأتباع معبد في أتلانتا، وهو مزيج من العمارة الإسلامية والمصرية الذي جعل من وجوده أمراً غريباً جداً في شارع بيتشتري. الفيلم الذي رأيناه يوم الأحد ذلك كان غريباً بطريقة مختلفة تماما. ذهب مع الريح، بطبيعة الحال، روّج شعبية أسطورة "القضية الخاسرة" والكونفدراليين الذين قاتلوا للحفاظ على قيم الجنوب القديم. تقبلت فكرته، كما فعل معظم أصدقائي، أو جزءاً كبيرا منها على أي حال، على الرغم من أننا أحسسنا جميعاً بشعور مزعج وهو أنه كان هناك شيئ ما خطأ في ذلك الفيلم، تماماً كما كان هناك شيء خاطئ في المجتمع الذي نعيش فيه.

كانت هناك على الأقل مجموعة من الجنوبيين، هؤلاء الناس على الجانب الآخر من الهوة، تنظر إلى التاريخ من منظور مختلف تماماً، ووجدوا صوتاً قوياً يرتفع من المنبر في أتلانتا، صوتاً قد بدأ في بناء جسر ثقافي. ينتمي هذا المنبر إلى كنيسة إبنيزر المعمدانية في شارع أوبورن، والصوت كان صوت الدكتور

في الأعلى: كنيسة أبينزر المعمدانية الأصلية في أتلانتا. هي الكنيسة التي خدم فيها زعيم الحقوق المدنية مارتن لوثر كينغ الابن ووالده.

أعلاه: زوار الموقع التاريخي القومي لمارتن لوثر كينغ الابن. يمرون عبر جادة أوبيرن خلال اليوم القومي الذي يحتفل بمولد زعيم حركة الحقوق المدنية في 20 كانون الثاني/ يناير.

مارتن لوثر كينغ. والأمر الغريب أن تجاربي الخاصة مع اللغة والشعر بدأت حوالي الوقت الذي تعرفت فيه لأول مرة على حركة الحقوق المدنية. بعض من هذا، طبعاً، كان من قبيل الصدفة. كنت في سن المراهقة وقد بدأت للتو أتعرف على عالمي وأشعر بالحاجة إلى التعبير عن مشاعري على الورق. ولكن كما أذكر، أن عدداً كبيراً جداً من تلك المحاولات المبكرة في الشعر كانت تتعاطى مع الظلم الاجتماعي والتمييز العنصري وغير ذلك.

جيلي كان آخر من عاش في جنوب منفصل عنصرياً، وفي شوارع كانتون في الخمسينات وأوائل الستينات من القرن العشرين نادراً ما كنت أرى شخصاً أسود. في الواقع، لم يكن أحد ممن أعرفهم يتكلم كثيراً عن العرق. ما عرفته عن الحركة عندما كنت مراهقاً جاء معظمه ضمن مقتطفات من الأخبار التلفزيونية.

فتاة صغيرة تنسخ الكلمات المنقوشة على مدفن مارتن لوثر كينغ وزوجته. كوريتا سكوت كينغ.

أسماء قليلة أصبحت مألوفة - مارتن لوثر كينغ جونيور، جوزيف لوري، أندرو يونغ - ولكن المعرفة التي تمكنت من جمعها عن النضال الأفريقي الأميركي لم تكن عميقة. ومع ذلك، فإن هذه المقتطفات خدمت ليس فقط لتعزيز الأسئلة التي كانت لدي حول "الوضع الراهن" في الجنوب، بل خلقت أيضاً تعاطفاً دفعني إلى مطالعة كتب مثل "بلوز لمستر تشارلي" لجايمس بولدوين و"الرجل الخفي" لرالف أليسون وبالنسبة للجزء الأكبر من سنوات مراهقتي، كان النضال من أجل الحقوق المدنية شيئا حدث في أتلانتا وغيرها من المدن الكبرى. ولم يكن لدى الناس الذين كنت أعرفهم أي فكرة عما كان يحدث في الكنائس السوداء المحلية أو في مدرسة رالف بانش، وأصيبوا بالصدمة عندما حاول المجتمع الأميركي الأفريقي إزالة التمييز العنصري في سينما كانتون.

حصلت بعض أعمال العنف – قلْب سيارة في الشارع - والتهديد كان بأكثر من ذلك بكثير، ولكن لم يصب أحد بأذى بالغ. وكان ذلك فقط مدى تجربتي الشخصية مع النضال في سبيل الحقوق المدنية. وكانت أتلانتا نقطة اتصالي، جسري إلى وعي أكبر للمجتمع البشري، والدور المتنامي الذي قد أحتاج إلى ان ألعبه فيه. وبالتحدث عن الجسور. شاهدنا مؤخراً أنا وزوجتي قصة إخبارية في التلفزيون عن صبي صغير يسأل الرئيس أوباما لماذا يكرهه الكثير من الناس. عانق الرئيس الصبي وقال له، إن هذا بمعظمه سياسة وأن الناس لا يكرهونه. وكانت هذه لحظة تبلور، تذكير مؤلم أن بعض الناس ما زالوا متخلفين، ولكنه أيضا بمثابة تذكير يسوده الأمل أن الجسور الدائمة قد تمّ بناؤها. لم يُنتخب الرئيس أوباما فقط من قبل الأميركيين الأفارقة، بل وأيضاً من جانب جميع الأميركيين.

عندما تنطلق الألعاب النارية في الخلفية، تسقط ثمرة درّاق عملاقة إلى أسفل البرج. لتشير إلى بداية سنة جديدة في منطقة قطار الأنفاق الشهير في أتلانتا.

سألتني منذ بضع سنوات كاتبة شابة لماذا لم أكتب أكثر حول العرق. حككت رأسي وقلت لها إن كل القصائد كانت عن العرق لأنه، على مستوى ما، جميع القصائد هي عن الإنسانية. في الأساس، الرسالة التي استنتجتها من الشعر هي: ليس هناك سوى حياة واحدة - حياة واحدة مع اختلافات لا نهائية. ونحن جميعاً نتقاسم تلك الحياة – إذ إننا نولد، ونطمح، ونجاهد، ونبحث عن معنى، ونموت. الشعر هو فن المجاز، والذي هو فن صناعة الاتصالات، فن اكتشاف الجسور. رسالة الشعر العظيمة هي رسالة القواسم المشتركة، رسالة إنسانيتنا الأساسية، وأهمية أن نكون مخلوقاً بشرياً في لحظتنا المعينة.

بالتيمور القديمة المحببة

بالتيمور هي إحدى أقدم المدن الكبرى في الولايات المتحدة وأكبر مدينة في ولاية مريلاند ولديها تاريخ أدبي غريب نوعاً ما. هناك الكثير من الكّتاب الذين عاشوا هناك على مدى السنوات، وبعضهم مميز جدا، والكثير من النشاط الأدبي لا يزال يحدث هناك، ولكن "كتّاب بالتيمور" الحقيقيين، أولئك الذين يعتمدون لموضوعهم الرئيسي المدينة وشعبها، يمكن عدهم على أصابع اليد الواحدة. وخلافا لشيكاغو ولوس أنجلس، اللتين ألهمتا العديد من الكتاب وخلقتا تقاليد أدبية مميزة خاصة بهما، فإن بالتيمور القديمة الطيبة هي شيء شبيه بابن الزوج الأدبي.

في كثير من النواحي تُعد بالتيمور بلدة صغيرة كبيرة عظيمة. تميل أحياؤها إلى أن تكون معزولة، ولكل منها طابعها وتقاليدها المميزة، وعلى الرغم من أن أهميتها كميناء ومركز صناعي انخفض بشكل كبير، فإنها لا تزال إلى حد كبير مدينة للطبقة العاملة. تحملت لأجيال شعوراً بالنقص حيال المدن الكبرى في الشمال والجنوب- نيويورك، وفيلادلفيا، وواشنطن- مما يساعد على الأرجح في شرح ارتيابها من الغرباء وترددها في الترحيب بالقادمين الجدد. عشت هناك خلال الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين وكان المكان مريحا جدا، ولكن كان يمكنني أن أبقى قرنين آخرين أو ثلاثة، ورغم ذلك كنت لا أعتبر أنني بالتيموري حقيقي.

يمكن إيجاد جميع هذه النواحي من شخصية بالتيمور في أعمال أربعة "كّتاب بالتيموريين" حقيقيين، وهم أيتش أل. مينكين، وراسل بيكر، وآن تايلر، ولورا ليبمان، وسوف أتطرق لهم بعد برهة. لكن، أولا، ينبغي لنا أن نلقي نظرة سريعة على ماضي وحاضر بالتيمور الأدبي.

يبدأ تاريخها الأدبي في أيلول/سبتمبر، عام 1814، عندما وقف شاب من مريلاند يدعى فرنسيس سكوت كي، على سطح سفينة شراعية وشاهد القصف البريطاني لفورت ماكهنري، عند مدخل الميناء. تأثر جداً لرؤية العلم الأميركي يصمد منتصباً خلال المعركة فكتب قصيدة، سماها "الدفاع عن فورت ماكهنري"، والتي نشرها في إحدى صحف بالتيمور بعد وقت قصير من المعركة. نظمها على لحن يدعى "إلى أناكريون في السماء"، الذي يعتبره العديد من الأميركيين حتى اليوم غير صالح للغناء، ولكنه كان النشيد القومي لمدة قرن تقريبا ويعرف عامة باسم "الراية المرصعة بالنجوم."

بعد أن كتب كي قصيدته بعقدين من الزمن تقريباً، وصل أول كاتب مشهور حقا إلى بالتيمور. عاش إدغار ألان بو في بالتيمور لمدة ثلاث سنوات ابتداء من عام 1832 وكتب القصائد والقصص القصيرة على حد سواء بينما كان هناك، ولكنه كان في بالتيمور، كما في كل مكان آخر عاش فيه، يعيش فقيراً ومخموراً. وهو الأكثر شهرة في بالتيمور ليس لأنه عاش هناك ولكن لأنه توفي هناك، في عام 1849 حين

جوناثان ياردلي

ولد جوناثان ياردلي في عام 1939 في بيتسبرغ. تخرج عام 1961 من جامعة ولاية كارولينا الشمالية، حيث كان رئيس تحرير الصحيفة الطلابية "ذي دايلي تار هيل"، في عام1961-1960. وفي -1968 1969، وكان ياردلي زميل نيمان في الصحافة في جامعة هارفارد. انضم إلى صحيفة واشنطن ستار كمحرر كتب في عام 1978، وبقي هناك حتى زوال الصحيفة في عام 1981، عندما أصبح ناقد كُتب في صحيفة واشنطن بوست، المنصب الذي يشغله الآن. وفي عام 1981، فاز بجائزة بوليتزر للنقد المميز. يعيش ياردلي في واشنطن مع زوجته ماري أرانا.

تصور هذه اللوحة الزيتية فرانسيس سكوت كاي الذي كتب النشيد الوطني الأميركي "الراية المرصعة بالنجوم" بعد أن شاهد العلم الأميركي يلوح فوق ميناء بولتيمور خلال حرب العام 1812.

في الصفحة المقابلة: السفينة الحربية الأميركية المهيبة يو إس إس كونستيتيوشين في ميناء بولتيمور في العام 2004.

توقف وهو في طريقه من ريتشموند إلى فيلادلفيا. ودُفن بالقرب من مركز المدينة، ولا يزال قبره يعد قبلة للسياح. حيث يأتي في كل عام في ذكرى وفاته "شارب لنخب بو" غامض في الظلام ويترك ورودا حمراء وزجاجة من الكونياك عند شاهد ضريحه. هوية هذا المرء سرية جداً ومثل هذه الطقوس أصبحت الآن تقليدا عزيزا لدى أهل مدينة بالتيمور.

لم يصدر سوى القليل من الأعمال الأدبية المثيرة للاهتمام في بالتيمور خلال الفترة المتبقية من القرن التاسع عشر، ولكن خلال القرن العشرين أمضى أربعة كتاب مهمون- وهم جيمس أم. كاين، وداشيل هاميت، وأف. سكوت فيتزجيرالد، وجون دوس باسوس- فترات طويلة من الزمن هناك. عمل كاين في صحيفة بالتيمور صن في أوائل العشرينات من القرن العشرين، وأصبح صديقاً لمينكين، الذي كان آنذاك يحرر مجلة قومية هامة هي "أميركان ميركوري". شجع مينكين طموحات كاين الكتابية، التي أنتجت من الوقت الذي انتقل فيه إلى كاليفورنيا في الثلاثينات من القرن العشرين أعمالاً رائدة في مجال الروايات البوليسية، "الواقعية"، بما في ذلك "ساعي البريد يدق دائماً مرتين"و"التعويض المزدوج" .

وصل كاتب آخر للروايات "الواقعية" حتى أكثر أهمية، وهو داشيل هاميت، مع أسرته إلى بالتيمور في حوالي عام 1900 وهو في السادسة من عمره. ترك المدرسة في عمر 14 سنة وعمل في عدد من الوظائف، أهمها "تحري في بينكرتون". غادر بالتيمور عندما كان لا يزال صغيراً ولا تظهر المدينة مباشرة في روايته الشهيرتين، "الصقر المالطي" و"الرجل النحيل"، ولكن خبرته في كرجل تحري في بينكرتون وضعت الأساس لتلك الكتب وغيرها الكثير من كتبه وقصصه القصيرة.

جاء سكوت فيتزجيرالد إلى بالتيمور في عام 1932 لأن زوجته زيلدا كانت تخضع لعلاج نفسي في عيادة هناك، وبقي فيها لمدة خمس سنوات. قال إنه أحب المدينة، وكتب أجزاء من كتاب "الليل الرقيق" هناك، ولكنه بدأ ينغمس في إدمان الكحول ولم تكن السنوات التي قضاها في بالتيمور مثمرة. أما بالنسبة لجون دوس باسوس، فإن أفضل أعماله، الثلاثية الشهيرة، الولايات المتحدة الأميركية (U.S.A)، كانت قد أصبحت وراءه عندما وصل إلى بالتيمور في عام 1952. أقام هناك حتى قضى نحبه بعد عقدين من الزمن، لكنه لم يكتب شيئا ذا أهمية، ويبدو أنه كان مكتفياً بهدوء حياته العائلية.

أحد جيرانه، كما أشار إلى ذلك الموقع الإلكتروني المفيد، الذي لم ينجز بعد،

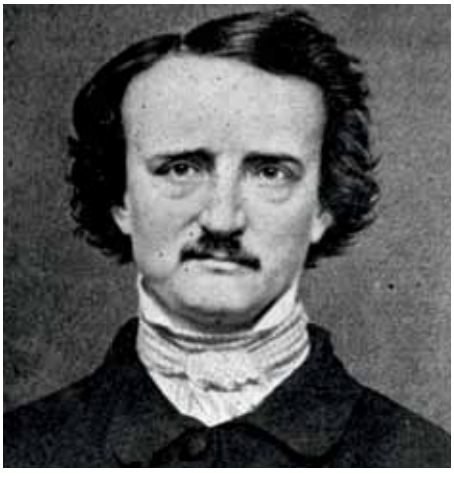

أعلاه: صورة بدون تاريخ للكاتب إدغار آلان بو.

فوق: منذ العام 1949 اعتاد زائر مجهول أن يترك وروداً وزجاجة كونياك على قبر بو في كل سنة تخليداً لذكرى مولد الكاتب في 19 كانون الثاني/يناير.

إف. سكوت فيتزجيرالد

داشيل هاميت

جيمس أم. كاين

راسل بايكر

أيتش إل. مينكين

أعلاه: مشهد لخط الأفق لمدينة بولتيمور والميناء الداخلي.

فوق: منذ العام 1980 عندما أعيد تنشيط الميناء الداخلي لبولتيمور أصبح نقطة الاجتذاب الأولى لزوار المدينة. وتحول إلى أحد جواهر تاج المدينة، من بين الأشياء التي تجذب الناس في الميناء معرض الأحياء المائية القومي، ومركز ميريلاند للعلوم، ومجموعة من المطاعم والمتاجر.

لمشروع التراث الأدبي لبالتيمور، كان أوغدن ناش، أعظم الكتاب الأميركيين للشعر الخفيف. انتقل إلى المدينة في عام 1934 بعد زواجه من امرأة بالتيمورية وعاش فيها حتى وفاته في عام 1971. كان سعيداً هناك وشجع بحماس فريقيها المحترفين لكرة القدم والبيسبول، ولكن المدينة لم يكن لديها أي تأثير تقريباً على شعره، على الرغم من تأثيرها الأكيد على قصيدته الرائعة "السكر نبات لذيذ/لكن الخمر أسرع" .

واليوم يتركز النشاط الأدبي في بالتيمور حول برامج الكتابة في جامعة جونز هوبكنز وكلية غوشر. وقام بعض الكتّاب من ذوي الأعمال المنشورة في التعليم بهذه البرامج، ولكن القليل جداً طلابهم توجه إلى مهنة الكتابة، ولكن بالتيمور نفسها ليس لديها أي علاقة تقريبا معهم يتعدى كونها مكانا يعيش فيه المعلمون والطلاب. برامج الكتابة في الكليات والجامعات هي الآن شأن مركزي في الحياة الأدبية الأميركية، وليس دائما مرحباً بها، لأنها تشجع الوعد الزائف الذي يقول إن أيا من كان يمكن أن يكون كاتباً، وهي تميل إلى إنتاج روايات من نوع خطوط التجميع التي يبدو فيها الكاتب إلى حد كبير مثله مثل كل الآخرين.

الوجود اليومي في حياة كّتاب المدينة هي صحيفة بالتيمور صن، التي كانت في العقود القليلة الأولى من القرن العشرين واحدة من أفضل الصحف وأكثرها نفوذا في الولايات المتحدة. وما بين 1910 و 1995، كانت هناك صحيفتان باسم "صن"، واحدة صباحية والأخرى مسائية، وعمل في غرف أخبارها بعض من أفضل

لورا ليبمان

جون دوس باسوس

الصحفيين الأميركيين، ومن بينهم يبقى الأكثر شهرة واحتراما، حتى اليوم، هنري لويس منكين وراسيل بيكر.

لم يساهم أحد أكثر من مينكين في السمعة العالية على المستوى القومي التي كانت تتمتع بها ذات مرة صحيفة الصن. بعد التدرب في صحيفتين أصغر حجماً في بالتيمور، وصل مينكين إلى صحيفة الصن في عام 1906، وبقي على اتصال بها حتى وفاته في عام 1956. كان مراسلاً، ومحرراً، ومديراً تنفيذياً للشركة، ولكنه في الأساس كان كاتباً وناقداً، وفي تلك الصفتين كان له تأثير على الحياة الثقافية الأميركية منقطع النظير. وكانت أعماله النثرية قوية، أصلية، مبتكرة ولا يمكن تقليدها (على الرغم من أن العديد قد حاول القيام بذلك)، وآراؤه شرسة. كتاباته لصحيفة الصن تحولت إلى مقالات في صحيفة أميركان ميركوري، التي بدورها جُمعت في كتاب تلو كتاب.

بالتيمور كانت مهمة لمينكين بصورة لا حصر لها. شبابه هناك كان موضوع ثلاث مذكرات كلاسيكية (''أيام سعيدة''، ''أيام الصحيفة'' و''أيام الوثنية''، وكلها لا تزال تطبع حتى اليوم)، وعلى الرغم من أنه كان في العشرينات من القرن العشرين الصحفي والناقد وكاتب المقالات الأكثر شهرة في البلاد، فإنه قاوم كل الإغراءات للانتقال إلى نيويورك.

باستثناء زواجه الوجيز في الثلاثينات من القرن العشرين (الذي انتهى بوفاة زوجته المبكر)، عاش في المنزل الذي وُلد فيه، وكان حي شارع هولينز الذي أقام فيه مركز عالمه. لكن مهما كانت حياته الشخصية ريفية ومحلية، فقد كان الناقد الأدبي الأكثر تأثيرا في عصره، وفعل أكثر من أي أميركي آخر لرفع البلاد من ركود التحفظ والتزمت الثقافي وانتقالها إلى العصر الحديث.

كان وجود مينكين لا يزال حيوياً في صحيفة الصن عندما وصل راسل بيكر إلى هناك في عام 1947 بعد تخرجه مباشرة من الجامعة، على الرغم من عدم وجود سبب للاعتقاد بأن الاثنين كانا قد التقيا في أي وقت مضى. كان مينكين مشهوراً عالميا وكان بيكر مجرد مراسل شرطة. بقي في صحيفة الصن لعدة سنوات، وتعرف على المدينة جيدا وصقل موهبة الكتابة لديه، التي كانت رغم اختلافها تماما عن مينكين، على مستوى عال مماثل.

لم يصبح على ما هو عليه فعلا إلا عندما انتقل إلى صحيفة نيويورك تايمز في الخمسينات من القرن العشرين، في بادئ الأمر كمراسل صحفي ومن ثم ككاتب عمود، كان يطلق عليه ''المراقب''، الذي كان يحظى بشعبية كبيرة، والذي كان يميل إلى التركيز على الحياة العادية بدلا من الأحداث الكبرى، وقد كُتب بأسلوب منخفض الوتيرة وساخر. يستند الادعاء بأن بيكر هو كاتب بالتيموري حقيقي إلى مذكراته الاثنتين، ''الترعرع'' و''الأوقات الطيبة''. الأولى هي قصة طفولته في بالتيمور، والثانية تتعلق إلى حد كبير بمرحلة تدربه في صحيفة الصن. تعتبر مذكرات ''الترعرع'' على نطاق واسع تحفة المذكرات الأميركية، في حين أن ''الأوقات الطيبة'' تستذكر حياة صحفية فقدت الآن إلى الأبد، وحياة بالتيموري فاسق من الصعب جدا العثور عليه اليوم في ظلال أبراج المكاتب العالية العصرية.

انضمت كاتبة أخرى من بالتيمور إلى المهنة من خلال صحيفة الصن، هي

أعلاه: مشهد جوي لوسط مدينة بولتيمور.

فوق: فيلس بوينت. مكان تاريخي على الواجهة المائية لمدينة بولتيمور.

لورا ليبمان، ابنة كاتب ومحرر بارز في صحيفة الصن، وقد عملت فيها خلال التسعينات من القرن العشرين، وغطت مجموعة واسعة من السباقات الصحيفة وأصبحت على معرفة خاصة بالعالم الإجرامي للمدينة، العالم الذي أصبح معروفاً دوليا من خلال مسلسلين تلفزيونيين، "جريمة القتل: الحياة في الشارع" و"السلك" . في أواخر التسعينات من القرن العشرين، بدأت في كتابة روايات عن مراسلة صحفية تحولت إلى مخبرة خاصة تدعى تيس موناغان. نشرت أول قصتين، وهما "أحزان بالتيمور"، و"مدينة السحر"، في عام 1997. ومنذ ذلك الحين نشرت ليبمان 15 كتابا آخر، من ألغاز تيس موناغان وما وصفته بالروايات "القائمة بذاتها". هذا معدل مدهش من الإنتاج، والأمر الذي يثير الدهشة أكثر هو مستوى الجودة العالية التي حافظت عليها.

وهي لا تزال تطلق على نفسها اسم "روائية الجريمة"، لكنها تعتبر أكثر من ذلك بكثير. إنها تخلق الشخصيات بمهارة كبيرة، وتنفخ الحياة في بالتيمور كشخصية قائمة بحد ذاتها، وتكتب بشكل استثنائي، وتهتم بالمواضيع الجدية. لديها سنوات عديدة أمامها وجميع المعجبين بها لديهم الكثير للتطلع إليه. وأخيرا، هناك آن تايلر.

إنها الاستثناء الوحيد للقاعدة التي تقول إن بالتيمور لا ترحب بالغرباء. لم تصل إلى المدينة حتى أوائل الستينات من القرن العشرين، عندما كانت في العشرينات من عمرها، متزوجة وأم لابنتين، ومؤلفة لرواية أولى لاقت ترحيباً جيدا وهي، "إذا كان لا بد للصباح أن يأتي". لم تبرز بالتيمور كمسرح لرواياتها حتى عام 1974، مع روايتها الرابعة، "شداد عقارب الساعة".

وظلت هكذا منذ ذلك الحين. منذ البداية أظهرت تعاطفاً عميقاً مع الأطوار الغريبة للمدينة، ومنذ البداية احتضنها زملاؤها البالتيموريون واحتضنوا رؤيتها حول مدينتهم، وجعلوها واحدة منهم. في الثمانينات من القرن العشرين، أصبحت تايلر روائية لأفضل الكتب مبيعاً على الصعيد القومي من خلال أشهر (وأفضل) كتبها، "عشاء في مطعم الحنين للديار" و"السائح بالصدفة".

والآن وهي في أواخر الستينات من عمرها، لا تزال تكتب بشكل دائم، وتصدر رواية جديدة كل ثلاث سنوات تقريبا، وتلقى دائماً مديح النقاد ونجاحاً شعبياً. كانت سمعتها في أوائل حياتها المهنية بأنها كاتبة أدبية، وقد حافظت على معايير أدبية عالية عندما اتخذت مكانتها بين الكتاب الأميركيين الأكثر شعبية المحبوبين في يومها. ترفض جميع المقابلات وغيرها من أشكال الدعاية، وهذه سياسة تستحق التقدير والإعجاب في هذا العصر من الترويج الذاتي الذي لا يكل.

تايلر لروايتها "دروس في التنفس" وراسل بيكر لروايته "الترعرع" هما الكاتبان الباليتموريان الوحيدان اللذان فازا بجوائز بوليتزر للأدب. مكانتهما في سماء الأدب الأميركي آمنة مثلهم مثل مينكين، وأما لورا ليبمان فهي في طريقها إلى الانضمام إليهم.

أعلاه: كامدن ياردز. موطن فريق البايسبول بولتيمور أوريولز.

في الوسط: ماونت فرنون هي حي تاريخي رائع آخر في بولتيمور.

فوق: سوق ليكسنغتون في وسط مدينة بولتيمور هو أطول الأسواق في العالم. بُني في حوالي العام 1782.

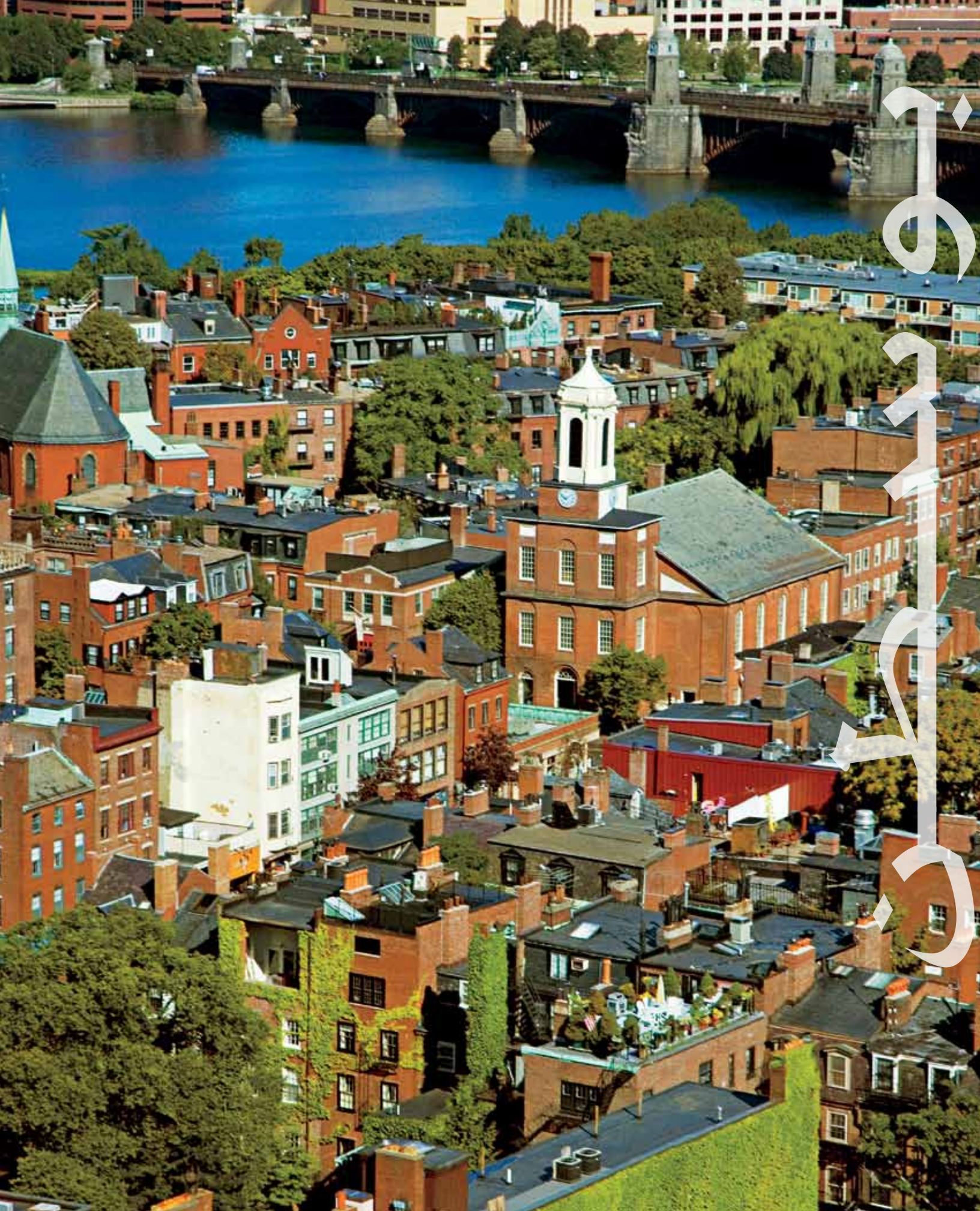

أشباح

كارلو روتيلا

كارلو روتيلا مؤلف كتاب "قطع الوقت"، وكتاب "يعملون جيداً بأيديهم،" و"مدن أكتوبر". يساهم بصورة منتظمة بكتابة مقالات في مجلة نيويورك تايمز، ومجلة واشنطن بوست، وصحيفة بوسطن غلوب ومحطة WGBH، ومحطة التلفزيون والإذاعة في منطقة بوسطن. نشر أعماله أيضاً في صحيفة ذي نيو يوركر، ذي أميركان سكولار، وذي بست أميركان اسايز. يعمل مديراً للدراسات الأميركية في كلية بوسطن.

أصبحت ابنتي لينغ لي، البالغة من العمر 8 سنوات، مؤخراً تخشى الأشباح التي تتجمع عند موعد نومها، وتستعد لغزو أحلامها. ففي أعماق الليل، بعد ان تكون قد استيقظت من نومها بفعل كابوس ظهر لها بوضوح كبير، بعد سلسلة من الكوابيس الأقل وطأة، قامت تسير بخطى خافتة عبر الممر إلى غرفتي وتلتصق بجانبي في السرير. تقول في الظلام بصوت خافت، "تنتابني أفكار سيئة". فأقول لها "أعطني تفاصيل كل شيء". فأنا الخبير المجرب بالأحلام السيئة نظراً لأني عرفتها طوال حياتي: حيوانات نصف مرئية يسيل لعابها تندفع عبر الأبواب التي لا تأبى أن تقفل ونوافذ صغيرة جدا إلى درجة أنها لا تكفي لتتوافق مع إطاراتها، ومشية طويلة إلى اسفل ممرات جهنم احمل فيها مضرب لعبة البيسبول على كتفي، ونفس الأفلام المرعبة التي لا يمكن وصفها تعرض على كل قناة تلفزيونية ولا يمكن إطفاء جهاز التلفزيون، ومن ثم، بشكل ما، أصبح أنا في الفيلم. تعلمت ان التقنية هي الترياق ضد الخوف، ولذلك علّمت ابنتي لينغ لي عندما كانت صغيرة جداً ان من الممكن ان يدخل حليف في أحلامك لتزويدك بمعدات متخصصة يمكنك استعمالها لطرد التهديدات المتنوعة، وانه في نهاية المطاف، مع نمو قدراتك كحالمة يمكنك الاستغناء عن تدخل الحليف وان تدربي ذهنك النائم لكي ينتج المعدات عندما تحتاجين إليها.

وعلى مر السنين، قمت أنا وهي بجمع ترسانة لها تضم شبكة لاصطياد الوحوش، ومطفأة حريق أضيفت خلال فترة خشيتها من الحرائق، وقصر طائر، وحصان له جناحان للوصول إلى هناك، وبذلة منزلقة لإحباط الأشخاص الشريرين الذين يتوقون دائما للإمساك بها وخطفها بعيداً إلى أوجارهم الهائلة التعاسة. أضفنا مؤخراً حجراً صغيراً له ملمس ناعم يمكنك وضعه في جيبك. عند ظهور الأشباح تضع يدك حول الحجر الذي يسبب هبوب ريح قوية تدفع أولاد العاهرة المكشوفين هؤلاء إلى الإسراع في الانسحاب بعيداً، وهم يزمجرون تعبيراً عن إحباطهم وسخطهم. ولكن يمكن أن أكون قد صنعت قضية جيدة حول خبرتي إلى درجة زائدة عن اللزوم. فبدلاً من تدريب نفسها خلال النوم على تنفيذ هذه البنود، فلا زالت تفضل إيقاظي لتطلب مني ان اجلب هذه البنود اليها كما لو كنت الحامل الهلامي لبندقيتها او محاميها.

يعود سبب خشية لينغ لي من الأشباح إلى نزهة عائلية قمنا بها حديثا إلى جزيرة جورج ايلاند في ميناء بوسطن. وأمضينا فيها بضع ساعات هناك نستكشف فورت وارن، حيث تم احتجاز سجناء الكونفدرالية خلال الحرب الأهلية. لا شك ان عدداً منهم توفي هناك. أمسكنا بأيدي بعضنا البعض ونحن نسير عبر الممرات المظلمة في أعماق الحصن، ونجر أقدامنا على غير هدى، نتحسس بأقدامنا حالات عدم الانتظام في الأرضية الحجرية العارية، ونجهد أنفسنا لكي نلمح حتى شكل باهت في الظلمة، ونتنفس الصعداء عندما يصدر أمامنا ضوء هاتف خليوي أخضر

أقدم سفينة حربية في سلاح البحرية الأميركية، يو إس إس كونستيتيوشين، تبحر في رحلتها السنوية حول ميناء بوسطن.

الصفحة المقابلة: مشهد جوي على طول نهر تشارلز يظهر المجموعة المتنوعة للأنماط المعمارية في بوسطن.

لزائر آخر. في رحلة العودة على العبارة انضمت لينغ لي وشقيقتها الصغيرة جوان، التي لا تخاف من الأشباح، إلى جمع من الصغار المتمسكين بالدرابزين في مقدمة المركب السائر تحت ضوء شمس أيلول/سبتمبر الباهتة، يصرخون بسعادة غامرة في وجه الريح عندما يقطع المركب عبر الامخار التي يتركها وراءه مركب آخر. وعند وصولنا إلى اليابسة، سرنا عبر مكاتب شركة تدير جولات لزيارة منازل مسكونة بالأرواح في بوسطن. اقتربت لينغ لي من الشخص الذي يرتدي قبعة عالية سوداء ويروج لمهنته أمام منضدة لقراءة الكتاب المقدس. متظاهراً بلهجة قديمة وبطريقة خسيسة، رفض في بادئ الأمر ان يؤكد او ينفي بأن الأشباح حقيقية ولكنه، في نهاية الأمر، بعد الاستجواب اللاحق، قال لها انه هو بالذات شبح. استوعبت هذا النبأ بدون تعليق، وسرنا في طريقنا. كانت المقابلة مع البائع الجوال الفكتوري المخادع والطبيعة الشبحية للحصن، اللذين تفاعلا سوية، وأطلقا دورة الأشباح الحالية في حياة أحلامها.

عندما يسألني الناس ما الذي يعجبني في مدينة بوسطن أجيبهم عادة بأنها قديمة (بالنسبة لمدن العالم الجديد) ويمكنك الذهاب تقريباً إلى أي مكان سيراً على الأقدام. ول تمثل أي من هاتين الصفتين نموذج الحياة في مدينة أميركية. ترعرعت في شيكاغو، وهي مدينة أشعر الآن انها بالنسبة لي كانت تجربة، قطار نموذجي عملاق كان متناثراً منذ بضعة أيام قليلة عبر المرج. ارتفعت كل أهرامات وكاتدرائيات طفولتي وهبطت داخل ذاكرتي الحية- مشاريع الإسكان ذات البنايات العالية وهي تسير بعيداً على امتداد حافة الطريق السريع للسيارات، الأنقاض الهائلة لمصانع الفولاذ والمعامل التي تهاوت بالحركة البطيئة إلى مروج مرتفعة من الأعشاب التي استصلحت في نهاية الأمر قطعة من الأرض مهجورة في شيكاغو. وتمتد شيكاغو عبر المشهد الطبيعي المستوي للغرب الأوسط وفق نطاق لا إنساني لدرجة انه يمكن الشعور في ليلة عاصفة من شهر شباط/فبراير ان الوجهة التي تبعد مسافة ثماني مجموعات من المباني تقع مباشرة فوق منحنى الأرض.

بالنسبة لشخص تدرب على حساسية شيكاغو، تشعر بأن بوسطن مكتظة،

أعلاه: الزوارق الشراعية تجول في ميناء بوسطن مقابل خط أفق المدينة.

فوق: مبنى الولاية القديم، الذي بني في العام 1713، هو أقدم مبنى عام لا يزال قائماً في بوسطن.

كما لو أن شخصاً منذ وقت طويل جمع قدراً عظيماً من المواد الحضرية – باصات بثلاث طوابق، مربعات جامعات، جسور من الحجارة والفولاذ، القبة الذهبية لمبنى الولاية، كراسي حدائق وصناديق نفايات موضوعة في فسحات إيقاف السيارات لحجزها لكل من يجرف الثلج عنها – ورصّها بإحكام في موقع مشكل بصورة غريبة عند طرف المحيط. أعيش في بروكلاين، وهي بلدة منفصلة مثنية الأطراف تقع داخل منخفض مقعر على حدود مدينة بوسطن، الحي الذي اقطنه، المشهد العام لمنزلي الذي تبنيته هو عبارة عن مجموعة من التجعدات المألوفة في النسيج المسحوق للمدينة.

يوجد في الشارع الذي أعيش فيه، المؤلف من صف مزدوج من المساكن ذات الطابقين المبنية بصورة متلاصقة تقريباً، يقع بين الأرض العالية من جهة وخطوط السكة الحديدية من الجهة الأخرى. يمكنني أن أشهاد خلال الليل من نوافذ منزلي قطارات "غرين لاين" (أي الخط الأخضر من منظومة السكك الحديدية في المدينة)، مضاءة مثل مراكب الرحلات، تمر خلف المنازل عبر الشارع. وفي ليالي الشتاء، عندما كنت أشعل النار في الموقد، كان يصل صوت القطارات المقتربة والمبتعدة يصل عبر المدخنة. يقع منزلنا بين شعبتين من شبكة خطوط السكة الحديدية لقطار "غرين لاين" الممدودة على شكل يد، وبين الشكلين المنتفخين لاسبينوال هيل وفيشر هيل، والشارعين الرئيسيين بيكون وبيولستون، نجد أنفسنا محصورين هنا كالفئران داخل كوة في جدار حجري قديم.

لكن الشعور بالدفء والراحة يتطلب ترياقاً خاصاً به: يعجبني ان أمارس رياضة العدو خلال ساعات الليل بعد ان تنام الفتاتان مع قصص ودببة محشوة وأضواء الليل المشتعلة. أبدأ طريقي من أسفل ناصية الشارع، أغادر منزلي تاركاً ضوء الشرفة المسقوفة مشتعلاً وضوء آخر في نافذة المكتب حيث تجلس زوجتي أمام مكتبها. اجتاز شارع بيكون وأدخل إلى برايتون، جزء من بوسطن الكبرى، ماراً بمنازل ومن ثم بمباني الشقق ذات النوافذ المضاءة بلون أزرق صادر عن شاشات

أعلاه: فانويل هول هو أحد المواقع التاريخية العديدة في وسط مدينة بوسطن ويقع على درب الحرية في بوسطن.
فوق: في بوسطن ترتفع المباني الجديدة بجوار بعض أقدم المباني في الولايات المتحدة.

أدناه: عدّاء وحيد في يوم ماطر يظهر خياله مقابل خط أفق وسط مدينة بوسطن.

أعلاه الى اليسار: يتمتع السواح بركوب زوارق على شكل بجعة في الحدائق العامة في بوسطن.

أعلاه: الناس يمرون هنا أمام قطارات الأنفاق المعروفة باسم "The T". تم فتح خطوط هذه القطارات في العام 1897 وهي أقدم شبكة لقطارات الأنفاق في أميركا.

فوق: فانويل هول التاريخية أعيد تنشيطها كمركز رئيسي لسوق تضم عددا من المتاجر وساحة للمطاعم.

التلفزيون. بعد أن أشعر بالدفء وأطلق خطواتي، اجتاز شارع واشنطن على الخط قرب مركز الشرطة الذي لم يردع وجوده سائقي السيارات المشهورين بعدم الكفاءة والغاضبين من اجتياز الأضواء الحمراء أمامه بالذات. اتبع المنحدر الخفيف لشارع ماركت باتجاه النهر. الأرصفة فارغة تقريباً وحركة السير خفيفة.

يُشكِّل النهر المحاط من ضفتيه بممرات مبلطة أحد أطول وأعمق التجعدات في بوسطن –ممر طبيعي حميم ضيق، محجوب جزئياً بالأشجار والشجيرات، يقودك بصورة شبه سرية عبر المدينة، ويتقاطع مع الشوارع فقط عندما تصل إلى جسر. أسرع الخطى على الممر بجانب النهر، وأبدأ وتيرة الإيقاع الطويل يتملكني إحساس متنام بعدم أهميتي وأنا أمر من متسع مظلم عبر فسحة مضاءة بشكل افضل لأعود من جديد إلى الظلمة. الجرذ الذي أصادفه يندفع عبر الممر وتقريباً تحت قدميك. البط والأوز التي يراقب أطراف الأسراب النائمة من أجناسها تصدر الإنذار لدى اقترابي ثم يتوقفون عن ذلك عندما يقررون بأن هذا هو أنا. يرتفع إلى الفضاء مالك حزين منطلقاً من المياه الضحلة وبضربات أجنحة متجهمة ينزلق بعيداً فوق الماء. في إحدى المرات، عندما كنت أمر في دغل من أشجار القصب التي تتحرك دائماً بهمس عند مروري، خرج ذئب البراري من أمامي متجهاً إلى عمود من ضوء القمر، وينظر إلى الخلف عبر كتفه المقوس وهو يجتاز الشارع الفارغ ورافقني لفترة قبل ان يختفي في اسفين مظلم من الأرض السبخة على الجانب الآخر.

في بعض الأحيان أمر بزميل لي يركض أو بشخص ينزه كلبه في وقت متأخر. عندما يكون الطقس جيداً، أرى زوجين يتغازلان جالسين على المقاعد الخشبية المشرفة على الماء. ولكن آثار المتوفين على امتداد النهر تتجاوز أعداد الأحياء: ريتشي نورث، قتل في فيتنام، سمي قسم من المنتزه القومي نونا توم من نيوتن على اسمه، ديفيد براي الذي قتل في حادث تفجير مركز التجارة العالمي في 11 أيلول/ سبتمبر 2001، يخلّد ذكره بلوحة مثبتة بجوار ملعب في كامبريدج، لونغفيلو واليوت وويكس وولد وجميع القدامى المتبجحين الذين أعطوا أسماءهم لجسور وعنابر القوارب، جحافل المؤلفين الذين لقوا حتفهم منذ أمد طويل الذين تجمع مؤلفاتهم الغبار في أكداس مكتبات الجامعات التي تواجه البحر-هارفارد، معهد مساتشوسيتس للتكنولوجيا، جامعة بوسطن. كما يوجد على مسافة لا تبعد كثيرا عن النصب

التذكاري لديفيد بيراي معلم من الغرانيت نقش عليه ادعاء ينطوي على تمنيات لدرجة قد تصفها كذبة: "في هذه النقطة من عام 1000 بنى ليف اريكسون هذا المنزل في فاينلاند". أبينزر نورتون هورسفورد، رائد أعمال في إنتاج مسحوق خميرة الخبز مولع بهواية عِلم الآثار من أكثر الأنواع شاعرية، ومسؤول عن وضع هذا المعلم. قام أيضاً ببناء برج للفايكنغ مثير أبعد باتجاه الغرب على النهر، وقاد الجهد لإقامة تمثال ليف اريكسون ليشاهد حركة السير من أعلى المنحدر، مع شجرة نخيل تظلل جبينه، من الوسط العشبي لجادة الكومونولث عند طرف باك باي. ربما هدأت جهود هورسفورد في نهاية الأمر أشباح الفايكنغ المضطربة التي تجمعت حول فراشه، رغم اننا لن نعرف ذلك أبداً، لان هروسفورد قد توفي منذ وقت طويل، بالطبع.

في بعض الأحيان أحاول أن أشرح إلى لينغ لي، ما الذي يدفعني إلى الخروج خلال الليل، بدون احمال، أتحرك بسرعة، وأهدئ نفسي مع أطراف المشهد العام ودورة إيقاعاته. تعتقد هي ببساطة أنه من الغباء ان أختار أن أكون مكشوفاً إلى هذه الدرجة وأبقى وحيداً في الظلام. ولكني أحاول أن أجعلها ترى ان العدو أثناء الليل يُشكِّل تقنية الانتماء، وحفر نفسك في مكان ما، وحفر المكان في نفسك. ومن خلال تكرار وتغيير مساراتك، تربط نفسك بنسيج أرض وطنك بحيث لا يمكن بسهولة إخراجك منها - ليس على يد أعدائك ولا حتى على يد الذين يحبونك. من الصحيح انه عندما تركض أثناء الليل تشعر ببرودة رقة العالم، الضعف الرقيق لاتصالك مع أي إنسان أو أي شيء وبالأخص في الليالي الباردة والرطبة ولا سيما في ليلة أحد في قلب فصل الشتاء – ولكنها لا تفهم حتى الآن كيف توجه أيضاً ضربة ضد هذه الوحدة بصورة دقيقة من خلال السعي اليها.

ومع زيادة معرفتك بأشباح المدينة تنضم بصورة متدرجة إلى زمالتها. فلكل شكل لا ترى سوى نصفه من نافذة في الطابق الثاني او في سيارة عابرة، لكل شكل شبحي يلمع في مجال نظرك المحيطي وأنت تجتاز صف أشجار او مقبرة او مرتفعاً أرضياً لواجهة النهر، يوجد الكثير من الأمور التي لا تراها. أشياء كثيرة التي تلمحك: خيال مألوف بصورة غريبة مقابل ظلام أعظم.

عندما أعود إلى منزلي، أتمدد على السرير ثم استحم وارتدي سترة صوفية ثم أدور بهدوء حول المنزل الهادئ أطفئ الأنوار وأتأكد من الموقد والأقفال على الأبواب، وأتأكد من ان كل شيء يسير على ما يرام. تكون زوجتي قد أوت إلى فراشها بالفعل. وقبل ان أنضم اليها، أتوقف عند غرفة الفتاتين لأقبلهما قبلة المساء وهما نائمتان. أجلس في أحيان كثيرة في غرفتهما لمدة دقيقة، أنصت إلى تنفسهما، إلى المنزل الذي يتكتك في السكون، إلى الهدير وصوت الانزلاق المكبوت لقطار متأخر. اني الشرارة الوحيدة للحياة الواعية في المنزل، أمرّ بدون صوت وبصورة غير مرئية بين نائمين غير مدركين. قالت لي جوان في إحدى المرات، "إنك مثل شخص شرير يحبني ويحميني من أشخاص أشرار آخرين."

أتلكأ أحياناً لوقت أطول في غرفة الفتيات، انتظر العودة الكاملة لجسمي، كي استلقي بجانب زوجتي وأنام.

أعلاه: يتمشّى المارة عبر بوابة دخول إلى الحرم الرئيسي لجامعة هارفرد في كامبيريدج. ولاية مساتشوستس. إحدى ضواحي مدينة بوسطن.

فوق: إزالة الثلوج من أمام المنازل بعد عاصفة ثلجية.. مشهد يتكرر خلال فصل الشتاء في حي بيكون هيل في بوسطن.

شيكاغو تتوهج بلون الزبرجد

شيكاغو مدينة يسير فيها النهر إلى الخلف، وتحتضن المفارقات. وتضمن الجغرافيا قيامها بذلك. إنها العاصمة غير المعلنة لقلب البلاد، وهي مدينة داخلية اشتهرت بناطحات السحاب التي ترتفع عن الأرض المسطحة لمنطقة المروج الشاسعة الخصبة المعروفة باسم الوسط الغربي الأميركي. رائحة ملوحة المحيط تبعد مسافة 700 ميل، ومع ذلك فإن شيكاغو تعتبر مدينة مياه. أفقها بلون أزرق ضارب إلى الخضار. ساحل المدينة يشرف على أكبر بحر من المياه العذبة على وجه الكرة الأرضية، بحر يحتوي 20 بالمئة من المياه العذبة على وجه الأرض. وأكثر من المروج، أو الحقول، أو المتنزهات القومية، فإن المياه هي التي تخدم بمثابة ثقل الطبيعة النقيض للعارضات الحديدية والخرسانة في الأعمال الهندسية المعمارية في شيكاغو، ولحصى رصف الشوارع فيها. حماية واجهة البحيرة العامة كانت المزية المركزية في خطة برنهام عام 1909، وهي المسؤولة عن المحافظة باستمرار على ما هو جميل بشكل فريد في شيكاغو. تعكس مياه البحيرة صورة الانعكاس الواسع للمدينة وتعيدها بعد تغييرها. والمياه هي أسطورة المدينة. يستطع أن يخبرك بذلك أي طفل ترعرع في المدينة الداخلية وقطع الرحلة في فصل الصيف البالغ الحرارة متجهاً إلى الشاطئ، أو ما هو أفضل، امسك بمضخة إطفاء الحريق وافتحها واترك محتواها يتدفق في الشارع بينما يرقص الحي تحت الرذاذ.

أصل شيكاغو متشابك مع الماء. في عام 1674، قاد لويس جولييت والأب ماركيت، وهو مبشر يسوعي كان يتحدث عددا من لغات الأميركيين الأصليين (الهنود الحمر)، قوارب تجديف مصنوعة من قشور شجرة البتولا إلى أعلى نهر إيلينوي، وأصبحا أول أوروبيين ينصبان خيمتهما بالقرب من الموقع الذي كان سيصبح مدينة كبرى. لقد أثار إعجابي هؤلاء المستكشفون وأنا طفل. ففي الليل كان فراشي يتحول إلى قارب تجديف أقوده عبر البراري، متخيلاً الإعجاب الذي لا بد وأن شعر به الفرنسيان عندما شاهداه للمرة الأولى. كانت نوبة العمل الليلي للمدينة مسموعة من نافذتي ولا سيما القطارات التي لا تنام أبداً وهي تهدر فوق جسور القناطر. كان حيّنا محاطاً بخطوط السكة الحديدية وما يسمى بالقنال الصحي- المياه البنيّة للمجاري المفتوحة- المترسبة في أسفل جسور السكك الحديدية البعيدة مسافة عدة أبنية فقط. ولكني كنت على نهر ينساب عبر الغابة، يأتي للشرب من مياهه على امتداد ضفتيه الجاموس، والوعول، والدببة، والثعالب. يتذكر والدي، المهاجر البولندي، أنه شاهد لافتة تشير إلى المكان الذي نصب ماركيت خيمته فيه خلال فصل الشتاء على طول النهر على الشارع 27 وجادة دامين، غير البعيدة عن المكان الذي كنا نعيش فيه، وفي أحد الأيام، قمت مع صديقي إدي بوي برحلة على الدراجات الهوائية محاولين إيجاد تلك اللافتة ولكن في حال كانت تلك اللافتة موجودة فلم تعد موجودة هناك. كان التقاط الخردة أمراً شائعاً في حيّنا، حيث قد تكون صرة العجلة لرجل بمثابة الخردة بالنسبة لرجل آخر، واعتقدنا أن شخصاً سرقها من أجل الحصول على معدن البرونز.

ستيوارت ديبيك

ستيوارت ديبيك مؤلف ثلاثة كتب روائية وديوانيْن من الشعر. تقع أحداث مؤلفاته في حي بيلسين حيث ترعرع في الجانب الغربي من شيكاغو. أعماله الروائية وأشعاره كثيرا ما تُجمع وتُنشر في المختارات من المقتطفات الأدبية. وفازت بجوائز عديدة من ضمنها جائزة ماك آرثر عام 2009. وديبيك كاتب مميز وأستاذ مقيم في جامعة نورث ويسترن.

يُشكّل وسط مدينة شيكاغو مركزاً لأحد المراكز المالية العالمية العشرة الأولى.

في الصفحة المقابلة: خط أفق مدينة شيكاغو. المدينة الثالثة من حيث عدد السكان في الولايات المتحدة.

عشنا في بلسين، وهي حي في مرفأ الدخول في ساوث وست سايد، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى "بلزن"، المدينة التشيكية التي تعطي اسمها إلى ماركة جعة خفيفة ذهبية اللون. شيكاغو مدينة مقسومة بين نورث سايد الذي يحتوي على مباني سكنية وساوث سايد الصناعي الذي يقطنه أفراد الطبقة العاملة. إنها مدينة من الأحياء المنفصلة لأنها مدينة مهاجرين. يمكن معرفة تاريخ الهجرات في طريقة تقسيم أحيائها على امتداد خطوط عرقية أو إثنية- برونزفيل، تشاينا تاون، غريك تاون، أندرسون فيل، ليتل إيتالي، الباريو.

تنتج مدن، إذا كانت محظوظة، كتّابا يحددونها – حاول أن تتصور لندن بدون ديكنز. شيكاغو هي تلك المدينة الأميركية النادرة التي تملك تقليداً أدبياً يشبه لندن أو موسكو، وبصورة ملائمة، فإن كتاب شيكاغو- ومعظمهم من سكان ساوث سايد- هم كتاب ينتمون إلى أحياء محددة: سول بيللو الذي ينتمي إلى هايد بارك، ونلسون ألرغين الذي ينتمي إلى المثلث البولندي على خط ميلووكي وديفيجين، وغواندولين بروكس التي تنتمي إلى بورنزفيل، وجيمس فاريل الذي ينتمي إلى ما كان يعرف مرة بساوث إيست سايد الأيرلندي.

لكل حي شارع رئيسي، والشارع 18 هو الشارع الرئيسي لبلسين. عندما تتمشى نزولاً في الشارع 18 عبر رائحة الدخان المتصاعدة من المطاعم التي تبيع "التاكويرياس" التي تصدر منها موسيقى "الرانشيرا"، مجتازاً إشارات المتاجر الأسبانية والرسومات الجدارية النابضة بالحيوية التي تعيد إلى الذاكرة دييغو ريفيرا، ثم تتعجب لماذا سُمّي هذا المكان باسم بلسين بدلاً من غوادا لاهارا.

أعلاه: نهر شيكاغو ينساب من أمام برج سيرز. أعلى مبنى في المدينة.

أدناه: خطة بورنام للعام 1909 هي المسؤولة عن المحافظة المستمرة على الواجهة المائية للبحيرة على طول شاطئ بحيرة ميشيغان.

منذ الستينيات من القرن العشرين، كان حي بلسين ميناء دخول رئيسي للمهاجرين اللاتين الذين اجتازوا ليس محيطاً بل نهراً للوصول إلى الولايات المتحدة. قبل ذلك كان هذا الحي يعرف باسم المنطقة الخاصة بالسلاف. استقر المهاجرون التشيكيون هناك في منتصف القرن التاسع عشر وكان الحي أحد الأحياء القليلة في المدينة الذي استمر باقياً بعد حريق شيكاغو عام 1877. اشتعلت نفس تلك الفترة الزمنية بحرائق الاضطرابات العمالية والتغير الاجتماعي وظهر اسم حي بلسين، الذي ضم أفراد الطبقة العاملة منذ نشأته، بشكل بارز في موجات الإضرابات والاحتجاجات وأعمال الانتقام الوحشية. كان ذلك وقتاً حيث يستطيع حي "بوتقة انصهار" غير معروف أن يعمل كمرجل لأحداث قومية ذات أبعاد تاريخية، فترة زمنية شاهدت العنف في مظاهرات هاي ماركت، وتجارب اجتماعية مثل منزل هال لجين آدامز، والتعليم التقدمي لجون ديوي، والأدب الاحتجاجي مثل البيان التشهيري لابتون سنكلير لصناعة تعليب اللحوم في شيكاغو في كتابه "ذي جانغل". هذه الضفيرة من الليبرالية الأميركية التي نمت في شيكاغو كانت ستمتد لاحقاً إلى عمل ونظريات منظم المجتمع الأهلي سول إلينكسي، الذي خاطبت أفكاره بدورها محاميا شابا اسمه باراك أوباما.

رغم الأحداث التاريخية التي حصلت ضمن مساحة 3.5 ميلاً مربعاً من حي بلسين، كنت أنا وأصدقائي الذين ترعرعنا هناك بعد عدة أجيال نجهل ماضي هذا الحي. شيكاغو التي نعتتها نلسون ألغرين باسم شهرة "المدينة التي هي قيد الصنع" لا يمكن الاعتماد عليها لتوفير الوقت اللازم للتاريخ. تتطلب أعمال المحافظة العناية والمال، والمكان الذي هو قيد الصنع يرى مكسباً أكبر في هدم المباني، إعادة البناء، وترك الماضي ودروسه غير الملائمة- دون ترك الضغائن بالضرورة- في الركام خلفنا. تاريخ الصراع الطبقي والاضطرابات العمالية لا يدرّس سوى نادراً في المدارس. مع ذلك أتساءل ما إذا كنا، ونحن نتقدم في العمر، لا نحس بالماضي عند مستوى ما دون الوعي.

ابتدع الفيلسوف جاك دريدا عبارة "علم المسكونين بالأشباح" الذي حدده على أنه "حالة تُشكِّل مفارقة لشبح ليس كائناً أو غير كائن". إنه يتحدث بصورة مجازية حول كيف تستمر القوى الاقتصادية للماضي، رغم كونها منسية، في مطاردة الحاضر. كان هناك جسر قنطري على خط سكة حديدية في بلسين ذاعت شهرته بأنه مسكون بالأشباح. وعلى كل حال كان الجسر القنطري بمثابة أنفاق مخيفة شبحية، ولكن كانت تلك القنطرة الموجودة في الشارع 16 كانت تُعتبر مسكونة بالأشباح. وكانت الطقوس المحلية للتعبير عن الشجاعة الركض عبرها خلال الليل. تكهنا بأنه حصلت عملية قتل ارتكبتها عصابة أو عملية اغتصاب شنيعة أو أن أحد العمال المشردين بلا مأوى الذي كان يركب القطار وجد مشنوقاً هنا.

وفقط عندما أصبحت راشداً، عندما كنت أبحث في تاريخ الحي الذي أسكن فيه علمت أنه في عام 1887 كان هذا الجسر القنطري هو الموقع لمعركة القنطرة. فقد أدى إضراب عمال السكك الحديدية عام 1887 إلى اضطرابات عمالية عامة. وعندما اجتمع جمهور من المتظاهرين العزّل من السلاح، من بينهم نساء وأطفال، على القنطرة، أطلقت عناصر من الشرطة، والجيوش الفدرالية المدربة خلال معاركها مع قبائل السو التي هزمت كاستر، النار على الجماهير وقتلت ثلاثين فرداً منهم وأصابت بجروح ما لا يقل عن مئة شخص. من الممكن شراء "طوب تذكاري" يفترض أنه من الجدار المخرب بالرصاص من مجزرة عيد القديس فالنتين، وقد تمّ

أعلاه: "El" او القطار المرتفع هو نظام النقل السريع الذي يخدم مدينة شيكاغو وبعض الضواحي المحيطة بها.

فوق: يفتخر مبنى بلدية شيكاغو بكونه يضم حديقة على سطحه.

نسخة مماثلة عن لوحة مضاءة لمدخل مسرح بيوغراف بدار السينما التي أصبحت شهيرة بسبب دور لص المصارف خلال فترة الكساد الكبير جون ديللنغر.

الاحتفاظ بواجهة مسرح بيوغراف حيث قتل جون ديللينغر بالرصاص وهي تبقى نقطة تجذب السياح. وفي نهاية المطاف، كانت شيكاغو معروفة بغرامها المراهق بأفراد العصابات. ولكنك إذا زرت جسر القناطر على الشارع السادس عشر وهلستد، فإنك لن تجد، باستثناء الأشباح، أي نص تذكاري لمعركة القنطرة.

مع ذلك، ومثل ما قامت به أوجي مارش في كتاب سول بيللو، يمكنني أن أدعي أنني "أميركي، مولود في شيكاغو- شيكاغو تلك المدينة القاتمة." وتوجد أوقات عندما كنت أعود إلى الأماكن المسكونة بالأشباح في ساوث سايد القديمة، وأشعر كسائح في ماضي الشخصي. وسيلة انتقالي المفضلة هي قيادة قاربي الكاياك نزولاً في الفرع الجنوبي لنهر شيكاغو- النهر الذي ينساب طبيعياً باتجاه البحيرة، والذي تمّ تغيير مجراه، لصالح المجاري الصحية، عام 1900. يتشعب الفرع الجنوبي للنهر إلى قناة السفن والمجاري الصحية، التي تنسل خفية عبر ساوث وست سايد. وقد أسميناها القناة غير الصحية. وتقول الأسطورة إنه في حال لمست قطرة سامة منها الجلد العاري سوف تصاب بمرض ينتقل بالعدوى- كشلل الأطفال، والسل، والسفلس- أو تغمرك ديدان دموية تتغذى على فضلات الذبائح التي ترميها حظائر المواشي. عرفت القناة باسم "بابلي كريك" عندما كانت شيكاغو، استناداً إلى قول كارل ساندبرغ "جزار الخنازير للعالم"، وكان الغاز المتصاعد من هياكل الذبائح المتعفنة المطروحة في النهر يطفو على السطح. ورغم استثمار موارد كبيرة في تحسين نوعية المياه، فإنني أحرص على تخفيف الاتصال بها إلى أدنى حد عند ما انطلق في جادة أشلاند.

ينساب الفرع الشمالي للنهر عبر أخدود وسط المدينة المصنوع من الزجاج والفولاذ وفقاً لهندسة معمارية عالمية. إنها رحلة جديرة بأن تُقطع. ولا يوجد وجهة أفضل لرؤية المدينة من الأرض إلى الأعلى – أكانت باريس، أو براغ، أو شيكاغو- من رؤيتها من نهرها. يبدو النهر أكثر نظافة على الفرع الشمالي. تمر فرق سباق التجديف، عبرها، وهناك أناس على طول الساحل يصطادون بالفعل سمكاً غير صالح للأكل، وقد انتشرت شائعة تقول إن رئيس البلدية ريتشارد جاي دايلي، درس إمكانية تشغيل أسطول من الغندولات لنقل الناس حول وسط المدينة.

أعلاه الى اليسار: راقصات يؤدين رقصاتهن في استعراض يوم القديس باتريك السنوي في شيكاغو.

أعلاه: بعد أن كان مقراً للمهاجرين من أوروبا الشرقية. أصبح الآن حي بلسين في شيكاغو مركزاً لانطلاق موكب يقام في ذكرى يوم الموتى.

فوق: تعد وجبات الطعام في مطعم في هايد بارك في الجانب الجنوبي من شيكاغو.

يتسابق العداؤون عبر متنزه غرانت في وسط مدينة شيكاغو خلال سباق الماراثون السنوي فيها.

قناة المجاري الصحية ليست جاهزة تماماً للغوندولات. فهي تصدر رائحة، كما كانت تفعل عندما كنت طفلاً، رائحة من النفط، والطلاء، والحمام تحت جسور خط السكة الحديدية. ضفافها الصدأة مكدسة بالخردة والنفايات. تعكس بحيرة ميشيغن وجه الساحل الذهبي الذي ترغب المدينة في أن يراه كل العالم. ولكن نهراً صناعياً كالفرع الجنوبي يكشف عن الجانب الخلفي حيث نوافذ المصانع محطمة ومحروقة حتى السواد. في المدرسة الثانوية كنت أعود خلال الليل للتأمل في الأستيلين الذي يخرج منه الشرر وأسهم اللهب الساخن الأزرق من مسابك النوبة المسائية وهي تنطلق من المياه الداكنة. كنت أستكشف في الصيف المساحات خلف المصانع المفلسة التي بدأت تعود إلى المروج والى الأراضي الرطبة، حيث الحياة البرية- الأرانب، الثعالب، طيور التدرج، مالك الحزين، الضفادع، والأفاعي- كانت تبقى على قيد الحياة على مرأى من مجموعة القمم المستدقة لوسط المدينة. وكما هو الحال بالنسبة لمسارات السكك الحديدية فإن الأنهر هي مسارات للطيور وبجانب الحضور الدائم لطيور النورس، هناك أسراب من البط، والبط البري، والعيون الذهبية، والمرغانسير، والأوز الكندي، والبجع المهاجر، والقنبرة، والرفراف والسنونو، والباز، والصقر، الطائر الرسمي للمدينة، والتي كانت دائمة الحضور لاصطياد الحمام. تحت قيادة دايلي، أصبحت شيكاغو رائدة في حركة المدينة الخضراء. في إحدى المرات وفي مناسبة لتعليم القراءة والكتابة لطلاب من الأحياء الداخلية للمدينة، حكيت لرئيس البلدية رحلات التجديف التي قمت بها على طول النهر وكم كانت دهشتي عظيمة عند رؤية سد قندس، كإشارة واضحة على تحسن نوعية المياه.

أخبرني رئيس البلدية "هذا لا شيء" بلهجة ساوث سايد. "هذا النهر أصبح نظيفاً لدرجة أن الكائنات المفترسة بدأت تعود. جاء حيوان الدلق إلى الفرع الجنوبي خلال الليل وانطلق عند منطقة سرماك وانسل إلى شاينا تاون وقتل نصف عدد البط هناك. تلقيت هذا النداء من دائرة الشرطة تقول فيه إن أصحاب المطعم الصيني غاضبون جداً ويريدون معرفة ما سنفعله بالنسبة لهذا الأمر. ماذا يريدون أن أفعل، إلقاء القبض على حيوان الدلق؟ في وقت لاحق، تأكدت من خبير محلي بالحياة البرية الذي أخبرني أنه كما توقعت، كانت القصة غير محتملة الحدوث، وأن حيوانات الدلق قد انقرضت في إيلينوي منذ العام 1859. و"لكنه أضاف قد يكون هذا حيوان المنك".

في أعلى اليسار: في الملعب الرياضي التابع لمركز الشباب في الجانب الجنوبي من شيكاغو. صبي يقف أمام لوحة جدارية ملونة تصور عمالاً مهاجرين.

في أعلى اليمين: المتحف الأميركي الصيني في حي "تشاينا تاون" في شيكاغو يعرّف الزوار بالتاريخ والناس الذين استوطنوا هناك.

في الوسط: مقاطعة بولمان في شيكاغو بقيت دون تغيير ملحوظ عن الثمانينات القرن التاسع عشر عندما بنى جورج إم. بولمان منازل للعمال في مصنعه لعربات السكك الحديدية.

فوق: تزين المتنزه الألفي في شيكاغو منحوتة "بوابة الغيوم" المسماة "ذا بين" (حبة الفاصوليا) هي منحوتة من الفولاذ غير القابل للصدأ بوزن 110 أطنان صنعها النحّات أنيش كابور.

dallas

هيوستن: مدينة تجريبية

فريتز لانام

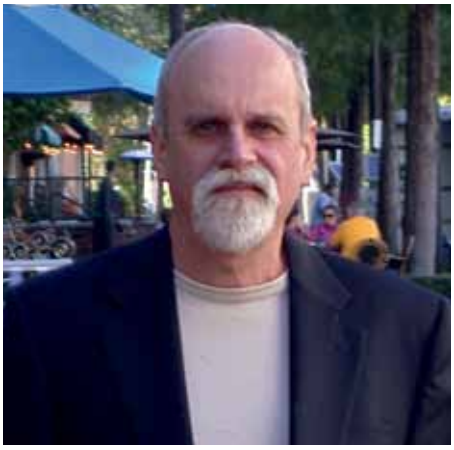

ترعرع فريتز لانام في إحدى ضواحي هيوستن وخدم لمدة 16 سنة كمحرر في صحيفة هيوستن كرونيكل. وهو حالياً مدير البرامج في مركز تكساس للجمعية الآسيوية. تخرج من جامعتي تكساس وانديانا وهو عضو في معهد تكساس للآداب. يعيش مع زوجته، كيلي سانفورد، في منطقة سبرينغ برانش في هيوستن

من بين المدن الأميركية العظيمة، تستعصي هيوستن على التعريف السهل. اذكر اسمها وماذا يتبادر إلى ذهنك؟ قلب المدينة المؤلف من أبراج زجاجية؟ انهر من الخرسانة تلتف عبر تمدد مديني؟ هذا صحيح بما يكفي ولكن تلك الأشياء لا تميز هيوستن عن بقية المدن الأخرى في ما يسمى بحزام الشمس. فهي لا تلتقط روح هيوستن.

لا شك ان كل الناس من سن معينة سمع بالاسترودوم، الذي لقب "الأعجوبة الثامنة في العالم" عندما ارتفع فوق السهوب الحارة في أوائل الستينيات من القرن الماضي. أتذكر عندما كنت يافعاً كيف كنت ارتدي الملابس لحضور العاب الكرة هناك. كان الرجال يرتدون السترات وأربطة العنق، والنساء يرتدين القبعات. فأنت لا تذهب إلى هناك فقط لمشاهدة فريق بلدتك يخسر مباراة أخرى، بل تذهب إلى هناك للاحتفال بهيوستن لأنها أصبحت مدينة كبرى رئيسية.

ولكن مضى وقت طويل على تلك الأيام. واليوم تقبع القبة فارغة ومنسية تقريباً، بمثابة نصب لاتجاه خاطئ في الهندسة المعمارية للألعاب الرياضية، وقد تلاشى وصفها كأيقونة هيوستن. لا يستطيع أحد ان يتصور ماذا يمكن ان يصنع بهذا المبنى، وفي أحد الأيام قريباً، كما أتوقع، سوف يتم تهديمه بهدوء.

هناك شهرة هيوستن كمدينة للنفط والغاز، مكان لعمال حفر آبار النفط ولأمراء النفط المدمنين على تناول الخمور. كل سرد لتاريخ هيوستن يخبرك بقصة الحفلة التي أُغدقت فيها الخمور والتي أقامها المنقب عن النفط غلين ماكارتي عند افتتاح فندق شامروك الفخم عام 1949، والتي انتهت بقفز شخصيات تكساسية ثرية مع نجمات هوليوود في بركة السباحة وهم سكارى، وكان هذا تعبيراً عاصفاً للاحتفال الذاتي المدني الذي اصبح ممكناً بفضل الذهب الأسود.

ولكن أقطاب صناعة النفط الأكبر حجماً من الحياة مثل ماكارتي غابوا منذ وقت طويل مثل فندق شامروك. وفي حين ان صناعة الطاقة تبقى المحرك الأقوى للاقتصاد المحلي، يكدح موظفو هذه الصناعة داخل أبراج المكاتب ويميلون لأن يكونوا جذابين مثل المحاسبين. محطات التكرير نفسها- مشاهد معدنية هائلة مكونة من أنابيب وخزانات- محصورة في النصف الشرقي للمقاطعة الذي يقيم فيه العمال، خارج المدينة بالذات. ولا يلاحظ معظم سكان هيوستن وجودها إلا عندما يشمون رائحتها ونادراً ما يعاني سكان هيوستن الأثرياء تلك المهانة. كلا، بالتأكيد فإن صناعة النفط والغاز لا تعرّف الطبيعة المميزة للمدينة.

عندما أنظر في هوية هيوستن، أعود دائماً إلى موقفها تجاه الشيء الجديد، تجاه التغيير، والماضي. وتبادر إلى ذهني عبارات مثل مدينة تجريبية، مدينة ارتجالية، مدينة توافقية. فهيوستن مكان للبناء وللهدم، للحلم وللتخلص من الأشياء. انها مكان لإعادة تكوين الفضاء المادي والفضاء الاجتماعي- إنشاء مبنى جديد،

قطار خفيف يمر عبر وسط مدينة هيوستن.

الصفحة المقابلة: يظهر مركز وورثام القائم في منطقة المسارح في هيوستن بشكل بارز.

إطلاق شركة أعمال جديدة، تأسيس متحف فني جديد، تشكيل فرقة رقص جديدة. يفشل حوالي نصف هذه المشاريع الجديدة، ويتم التخلص منها ونسيانها. ولكن هيوستن مدينة يجرّب الناس فيها الأشياء لان ليس هناك من يمنعهم وما يمنعهم عن ذلك. وهو أمر يكون جيداً أحياناً وسيئاً أحياناً أخرى.

أنا وزوجتي على وشك اجراء تجديد شامل لمنزلنا الباهت المبني وفق طراز بيوت مزارع المواشي التي راجت في الستينيات من القرن الماضي، ولذلك كان موضوع البناء السكني قابعاً بكثرة في ذهني. والبناء السكني يمثل طريقة حسنة مثل أي طريقة أخرى لتصوير النزوع الطبيعي لهيوستن إلى تغيير المظهر الذي لا ينتهي أبداً.

واليوم تمر هيوستن بفترة "إعادة ملء" سريع، لاستعمال الكلمة السائدة في اليوم الحالي. لقد تعب الناس، أو الكثيرون منهم على أي حال، من العيش في ضواحي المدينة. يريدون ان يكونوا اقرب من مراكز عملهم، اقرب إلى المطاعم ووسائل الترفيه المتوفرة في المدينة الكبيرة. وفي كل مكان تتوجه إليه ترى مطوري المدن يقيمون المساكن الحضرية، المنازل مع الفناءات الداخلية، وحدات الشقق، ويملأون المساحات الفارغة، ويحولون المدينة لكي تصبح أكثر اكتظاظاً. كل ذلك يتم تسهيله بسبب غياب التخطيط الذي تشتهر به هيوستن. قال الناخبون في هيوستن مرتين لا للتخطيط، واعتبروا ذلك خدعة من جانب الشيوعيين لحرمان الرجل من حقه في عمل كل ما يشاء في ملكه وكل ما يعتبر انه يسره.

والواقع ان معظم الأحياء لديها قيود على سندات ملكيتها تحدد نوع البناء الذي يمكن إقامته فيها. مع ذلك، فلا زلت تجد منازل عائلية ذات طابق واحد حميم، يعود تاريخ إنشائها إلى العشرينيات من القرن العشرين، تتقاسم الحي مع مبان رائعة

أعلاه: مجموعة من العمال يبنون سقالات مؤقتة مقابل خلفية من ناطحات السحاب في هيوستن.

أدناه: مشهد من زاوية عالية لخط الأفق لمدينة هيوستن.

الى اليسار: أحد المشاة يسير على درب في يوم جميل من أيام كانون الثاني/يناير بالقرب من وسط مدينة هيوستن.

أعلاه: قناة السفن في هيوستن تلتف حول معامل تكرير النفط ومرافق تخزين النفط والمواد الكيميائية في طريقها إلى خليج المكسيك.

حديثة مغلفة بالمعدن مستلهمة من أعمال المهندس "ميز فان در روه"، وكلها زوايا حادة ووظائف احتياطية مصممة على الأرجح من قبل أحد المهندسين المعماريين الشباب الطموحين المتخرجين من جامعة رايس او جامعة هيوستن. يستهجن المثاليون هذه التنافرات ولكنها تعجبني. يعني ذلك ان مراكز التسوق، وورش إصلاح السيارات، والمنازل التي ثمنها 850 الف دولار المصممة وفق الطراز الهندسي الجورجي الجديد (تسمى "صناديق المحامين" في هذه المناطق) ومباني المكاتب التجارية تحتك ببعضها البعض، وتقترب من بعضها اكثر من المدن "المخططة". فقد يكون الرمز الأيقوني لهيوستن هو عفريت التنافر."

الجانب الآخر المظلم لهذا الانفتاح نحو الجديد هو عدم الاكتراث المؤسف بالمحافظة على القديم. فبالكاد يمضي شهر دون ان تسمع عن مطور بناء يدمر قطعة من ماضي هيوستن. ومؤخراً سقط أروع مبنى متبق للبيع بالتجزئة من الحقبة الهندسية للعشرينيات المعروفة "بالآرت ديكو" في المدينة ضحية لكرة التهديم من أجل إفساح المجال لإنشاء متجر كتب جديد لبارنز اند نوبل. بينما اكتب الآن، يبقى هناك شك كبير حول مصير تحفة أخرى من فن "الآرت ديكو"، وهو مسرح ألاباما القديم، حيث شاهدت في عام 1968 فيلم "المتخرج" من تمثيل داستين هوفمان مع فتاة حطمت قلبي فيما بعد. مهما كان الشيء الذي سيبنيه المالك مكان هذا المبنى فإنه لن يكون بنصف روعته.

يوجد في المدينة دعاة للمحافظة على التراث ممن يحاربون مثل هذه العمليات، ولكن مال ونفوذ مطوري مشاريع ومع عدم اكتراث المواطنين يتغلبون عليهم. أشجعهم ولكني لا أستطيع ان أقول ما إذا كانوا سيفوزون في المعركة، وعلى الأقل ليس الآن.

أعلاه: يستضيف ملعب ريلايانت في هيوستن جمهورا اشترى كافة تذاكر حضور مباراة السوبر بول في العام 2004.

فوق: متدرب في متحف هيوستن للفنون الجميلة يتأمل عملاً فنياً يسمى "ضوء جديد" رسمه ثورنتون دايال.

في بعض أجزاء المدينة، فإن التدمير الخلاق يولد أشياء جيدة. وفي وسط المدينة، وهي منطقة بطول 40 مبنى تصل وسط المدينة بالمركز الطبي المشهور عالمياً الواقع إلى الجنوب، يختبر المطورون مشاريع ذات ارتفاع متوسط صديقة للمشاة تدمج بين الحيز السكني والمطاعم والمتاجر على مستوى الشارع وأرصفة عريضة تقود إلى مطاعم في الهواء الطلق وفق النمط الأوروبي. تشتهر هيوستن بأنها مدينة لا يسير فيها أحد، ولكنك ترى اختبارات أخرى عديدة تهدف إلى تغيير ذلك.

كان وسط المدينة في هيوستن، في معظم تاريخه الحديث منطقة تخلو من

الناس بحلول الساعة الخامسة مساء. قبل حوالي 20 سنة، بدأت المدينة وبعض المطورين من ذوي الرؤية محاولة تغيير ذلك أيضاً، مجددين الحيّز التجاري إلى شقق علوية. وقد بدا ذلك ناجحاً لفترة من الوقت. فقد افتتحت مطاعم وحانات جديدة وأصبحت ترى الناس يسيرون في الشوارع ليلاً. لدينا مدرج جميل وجديد للبايسبول في وسط المدينة، يعرف باسم ماينيوت مايد بارك، وملعب جديد لكرة السلة.

ولكن حتى الآن لم يجذب وسط المدينة مجموعة مهمة فعلاً من السكان. لا تجد على سبيل المثال في وسط المدينة محلات للتنظيف الجاف للثياب، محلات بقالة صغيرة، متاجر لبيع الخردوات والأدوات، البنية التحتية التي تحتاجها الحياة المتمدنة في المدينة. النتيجة النهائية للوضع في وسط المدينة: التشخيص غير مؤكد، ولكن توجد أسباب للتفاؤل.

كنت أركز اهتمامي على الحجر والإسمنت جزئياً لأنه مهما كان الشيء الذي يجعل من هيوستون مكاناً يحفز على العيش فيها فهو ينبع من الأشياء التي يصنعها الإنسان وليس من البيئة الطبيعية. ومع ان هيوستون تتضمن مساحات خضراء وأشجارا أكثر بكثير مما يتصوره العديد من الناس، إلا ان هيوستون لا تتمتع إلا بقليل من مظاهر السحر الطبيعي. أنظر إلى الأفق، فلن ترى القمم المغطاة بالثلوج من بعيد ما كما في مدينة سالت ليك سيتي أو سياتل.

أعلاه: طائرة معدلة خصيصاً تنقل المكوك الفضائي إنديفور وهي تحلق فوق مركز جونسون الفضائي في هيوستن في طريقها إلى مركز كينيدي الفضائي في فلوريدا.

فوق: الأخوان كزيدريس يظهران في متجرهما "ذي بالاس بوت شوب". آخر متجر قديم لأزياء الغرب الأميركي في هيوستن والذي أقفل أبوابه في العام 2005.

ولا تقع المدينة على ميناء طبيعي جميل مثل سان فرانسيسكو، بل ترتكز على خليج غالفستون الأعلى، على مسافة 84 كيلومترا من خليج المكسيك ضمن اليابسة. فلولا إعصار سنة 1900 الذي قتل 6000 إنسان في غالفستون وأنهى وضع هذه المدينة كأكبر ميناء في تكساس، لكانت هيوستون قد بقيت عملياً موقعاً خلفياً منعزلاً. ولقد استفاد آباء مدينة هيوستون من سوء حظ غالفستون وأتبعوا خطة لتعميق قناة عبر خليج غالفستون تسمح للسفن التي ترتاد المحيطات بالوصول إلى هيوستون. أدى ذلك إلى ولادة ميناء هيوستون، وولّد الميناء، وبالترافق معه اختراع تكييف الهواء، هيوستون كمدينة كبرى. وعلى وجه الخصوص اختراع تكييف الهواء. هيوستون ليست فقط منبسطة ولكنها حارة المناخ، مثل حمام البخار الذي ينهش قوتك لمدة ستة اشهر على الأقل خلال السنة. لا يلاحظ المرء الحرارة بقدر ما تتصور لأن المدينة ببساطة مكيّفة اصطناعياً بالكامل. وبعد قول ذلك، فإن الاحتباس الحراري العالمي لن يخدم هيوستن أبداً.

المدينة منشطرة إلى جزئين بواسطة روافد المياه الموحلة الراكدة، التي يحاط بعضها من الجانبين بالخرسانة، بينما البعض الآخر ليس كذلك، والتي تصرف مياه الأمطار إلى خليج غالفستون. لقد بُذِلت جهود جبارة لصنع رافد بوفّالو الذي يجري في قلب المدينة، وهو ممرّ مائي أكثر جاذبية. هناك مسارات للمشاة على طول الممر في بعض الأماكن، كما ان نوعية المياه أفضل، لكنني لا أتوقع رؤية أي كان يسبح في رافد بوفّلو طالما بقيت على قيد الحياة. جميع هذه الخصائص المادية غير الواعدة تخدم لتحفيز روح الإبداع والاختبار التي وصفتها على انها الميزة الأساسية للمدينة. بناء هذا، وهدم ذاك، أي شيء، وحاول شيئاً ما لجعل المكان أكثر جاذبية وراحة. وفي حين ان هيوستون هي مادياً في حالة من التغير الدائم، فانها تعيش أيضاً تغيراً ديموغرافياً هائلاً، وهو نفس التغيير الذي تعيشه المدن الأميركية الأخرى. ولكن هنا بصورة قاطعة أكثر. هيوستون تتحول إلى مدينة سمراء، مدينة يغلب عليها الطابع اللاتيني. ثلاثة وستون بالمئة من المقيمين في المقاطعة هم من ذوي

جامعة رايس المصنفة من بين إحدى أهم الجامعات الأميركية العشرين بدأت العمل في العام 1912 وهي معروفة ببرامجها في العلوم التطبيقية.

الأصول الأميركية اللاتينية. وهذه ثالث أعلى نسبة في البلاد للمقاطعات التي يزيد عدد سكانها عن المليون نسمة. الآثار الكاملة للثورة السكانية هذه لا تزال تنتظر الظهور.

كل إنسان له عينان في هيوستون يعرف ان عدد السكان الأميركيين اللاتين قد تفجر. أما ما يبدو انه في طور التغير فهو الوضع الاجتماعي – الاقتصادي لهؤلاء السكان. في الماضي، ظل الأميركيون اللاتين فقراء بصورة غير متناسبة ومن الطبقة العاملة. كان الانجلو ساكسون من الطبقة الوسطى يعرفونهم كعمال بناء، وخدم في البيوت، وطباخين، وسائقي شاحنات – أناس يقومون بأعمال مفيدة ولكنهم طبقة على حدة.

لكن سكان هيوستون من كافة الإثنيات سوف يستيقظون في وقت قريب ويكتشفون ليس ان البنائين وطباخي المطاعم لهم وجوه سمراء وأسماء إسبانية، ولكن أيضاً الأطباء، والمحامين، والمدراء التنفيذيين في المصارف، ومدراء المخازن الكبرى. إذا كنت تشك في ذلك، فما عليك سوى ان تجلس خارج مبنى مكاتب في وسط المدينة أو أن تنتقل داخل أحد متاجر التسوق الكبرى وتسجل إثنية كل إنسان تراه. هذا غير علمي بالكامل، أعرف ذلك، لكنه يفتح العيون.

كيف ستغير لاتينية هيوستون الجذرية وجه المدينة؟ بطرق أقل مما قد تتصور. هذا هو تخميني. صحيح ان هناك العديد من سكان هيوستون من غير اللاتينيين يشعرون بالغضب والقلق عندما يلاحظون ان الجميع من حولهم، في المتاجر أو الحافلات، يتحدثون لغة لا يفهمونها. ويبدو هذا بطريقة ما غير أميركي. غير ان معظم سكان هيوستون قد استوعبوا، في موروثاتهم الثقافية، الطعام اللاتيني والموسيقى اللاتينية، وعلى الأقل القليل من اللغة. والأهم من كل ذلك، ان معظم الناس اللاتين الذين أعرفهم يبدون بأنهم يحتضنون فكرة المدينة الاختبارية والاضطراب الاجتماعي والمادي الذي تأتي به. لقد اعتبرت نفسي دائماً إنساناً يبحث عن المركز الهادئ في الحياة بدلاً من الإنسان المندفع بشدة من نوع رواد الأعمال الجسورين الذين يجسّدون روح هيوستون. بعد قول ذلك، وفي معظم الأوقات أشعر بالراحة هنا، وقد تنعمت بها طيلة 25 سنة. أظن أنني مثل الكثير من الأميركيين لا أقدر حق التقدير شهيتي للأشياء الجديدة والمراهنات التي تأتي مع ما هو جديد.

في أعلى اليمين: ثلاث فتيات جميلات يأخذن فترة استراحة من باليه فولكلوريكو خلال استعراض "الفخر الإسباني" السنوي تكريماً لسيزار شافيز.

أعلاه: عرفت هيوستن بأسواق السلع المستعملة أو ما يسمى بأسواق البراغيث ويستعرض المتسوقون هنا معروضات سوق مركادو سابا دومينغو.

فوق: يقدم العديد من الممثلين الاستعراضيين حفلات في معرض المواشي وسباقات الروديو. بدأ أكبر حدث في العالم من هذا النوع في العام 1932 ويقام كعمل خيري يعود ريعه إلى شباب تكساس.

أرض الأحلام

في صباح 14 كانون الثاني/يناير 1959، هبط ديفيد وسيلفيا كيليرمان وأطفالهما الثلاثة الصغار من على سلم طائرة TWA المروحية ووطأت أقدامهم أرض مدرج الطائرات في مطار لوس انجلس الدولي. كانت الطائرة قد أقلعت عند منتصف الليلة الماضية من مطار لا غوارديا في كوينز، نيويورك حيث كانت درجات الحرارة قد هبطت إلى حوالي العشرين تحت الصفر، أثناء عاصفة ثلجية عنيفة. كان أطفال كيليرمان الذين ارتدوا المعاطف السميكة فوق ملابس النوم وكانوا يضعون على رؤوسهم قبعات ذات أغطية للأذنين، يجذبون النظرات المحدقة للطاقم الأرضي لخدمة الطائرة. كانت درجة حرارة الطقس في لوس انجلس 79 درجة فهرنهايت وكانت الشمس ساطعة، وكل شيء كان أخضر. اعتقدت سيلفيا انها هبطت في جنة، ولربما كان ذلك ما حدث.

بصفتي الأكبر سناً بين الأطفال ولي 9 سنوات من العمر، أدركت ان هذه الرحلة سوف تغير حياتنا واستطيبت المغامرة. وفكرت وأنا أتنشق خليطاً شجياً من وقود الطائرات وهواء الشتاء الدافئ الغريب وأحدق فاغر الفم إلى منظر أشجار النخيل حول مدرج الهبوط: "إنه بالفعل يشبه الأفلام السينمائية! وسوف يكون ذلك شيئاً عظيماً!" وكان كذلك بالفعل.

اختار والداي الانتقال إلى لوس انجلس دون ان يكون لديهما خطة جدية. كنا في حالة ضيق شديد بسبب الوضع المالي الكئيب الذي فرض ميزانية أسبوعية قدرها 35 دولاراً لعائلة مؤلفة من خمسة أشخاص وها نحن قد جئنا لنستقر في مكان يبعد ثلاثة آلاف ميل عن ديارنا ونحن شبه معدمين. شكّل قرار ديف وسيلفيا باقتلاعنا عن العائلة والأصدقاء ومغادرة المدينة حيث ولد الاثنان مزيجاً من الحماقة والشجاعة، وجاء إنقاذهما بمشقة من كارثة محتمة بفضل الذراعين المرحبتين للحدود الأميركية الجديدة.

كان والدي، الذي تقلّد وساماً حربياً لبطولته في الحرب العالمية الثانية والذي شارك في معركة الالتفاف في بلجيكا ومعركة شاطئ يوتاه في فرنسا، قد تأهل في نهاية المطاف، بعد أكثر من عقد من تسريحه المشرّف من الجيش، للحصول على قرض عقاري يمنح للجنود القدامى مكنّه من شراء منزل على قطعة أرض صغيرة في بايسايد، نيويورك. وبعد وقت قليل من انتقالنا إلى هذا المنزل صدر قرار بهدم المنزل لتسهيل إنشاء طريق سريع للسيارات. وبصفته أحد رواد التلفزيون وكسبت له مهارته في الإلكترونيات لقب "الساحر" من قبل قائد وحدته العسكرية، ونتيجة شعوره بالتعب والملل من الاستمرار في ملء جيوب الشركات بثمار ابتكاراته، قرر ان ينشئ شركته الخاصة. بدأ بطباعة الأوراق المكتبية التي جعلته رجل أعمال لا يستهان به، ثم بدأ اللف اليدوي للمكثفات الكهربائية الدقيقة في الدور السفلي للمنزل الصغير الذي كان مقدرا له أن يهدم بعد فترة قصيرة. قال لوالدتي، "طالما اننا مجبرون على الرحيل، فلنذهب بعيداً إلى لوس انجلس. هناك هو المكان الذي بدأت فيه الصناعة الفضائية بالانطلاق فعلاً."

جوناثان كيليرمان

جوناثان كيليرمان هو كاتب 31 رواية حققت أفضل المبيعات، وستة كتب غير روائية، والعديد من المقالات الأدبية والعلمية. تلقى تدريباً كعالم نفسي سريري، وهو أستاذ في طب الأطفال السريري في كلية كيك للطب في جامعة ساوث كاليفورنيا (USC)، كما أنه أستاذ مساعد لعلم النفس في جامعة ساوث كاليفورنيا نفسها.

تتوفر الخيارات لراكب الأمواج بوجود أكثر من 30 شاطئ على امتداد خط ساحل مقاطعة لوس أنجلس.

الصفحة المقابلة: طرق سريعة تقود إلى وسط مدينة لوس أنجلس الممتلئة بالضباب.

خط أفق وسط مدينة لوس أنجلس مقابل سلسلة جبال سان غبريال المغطاة بالثلوج.

كان أول منزل لنا في مدينة الملائكة فندق رانش، وهو نزل للمسافرين بالسيارات تجاوز عمر شبابه ويقع على جادة بيكلو في غرب لوس انجلس. يحتل الآن مكان موقف السيارات القديم للنزل، الذي هدم وزال منذ وقت طويل بوابات الدخول إلى قطعة الأرض الشاسعة لشركة فوكس ستويو للأفلام، والتي، حسب ما أعتقد، ما هي إلاّ استعارة بشكل ما. عشنا هناك لمدة شهر واحد تقريباً نتقاسم غرفتين بينما كان والداي يطوفان محاولين إيجاد مالك منزل يقبل بتأجير منزله إلى عائلة تضم ثلاثة أولاد صاخبين. لا شك انهم كانوا مكتئبين بسبب ضجيج حركتنا ورثاثة حالتنا. وشعرت أنا بنشوة عارمة، فقد كان المكان يضم بركة سباحة.

هذا الحوض غير المسوّر بعمق 12 قدماً، الذي تعلوه بقع، على شكل كلية تقريباً والذي احتل مساحة كبيرة من الفناء الداخلي للنزل كان يوحي إلي وكأنه "بحيرة استوائية". والآن بعد ان كنت أعيش في مدينة حيث فصول الشتاء الباردة كانت تصبح بسرعة ذكرى بعيدة، اصبح التمتع ببعض أشواط السباحة في كانون الثاني/يناير حقيقة طائشة. علمت نفسي السباحة بسرعة.

في أخر المطاف تمكن والدي ووالدتي من استئجار شقة تضم غرفتي نوم في مبنى صغير يعود تاريخ إنشائه إلى الخمسينات من القرن العشرين يقع على أطراف حي يقطنه أناس من الطبقة العاملة. ولكن منزلي وأنا بعيد عن المنزل كان مقعد دراجتي الهوائية.

فخلال فترة طويلة من طفولتي في لوس أنجلس، عشت على عجلتين اقطع أميالاً من المسافات المفتوحة الواسعة الفجّة التي أصبحت اسميها الآن منزلي كلما سمح الطقس بذلك – وكان ذلك تقريباً كل يوم أحد. في أحيان كثيرة كنت أركب دراجتي مسافة 10 أميال باتجاه الشمال الشرقي إلى متنزه غريفيث القومي، وهو

مرصد غريفيث يشرف على مناظر لا تضاهى للوس أنجلس من أعلى متنزه غريفيث. أعاد المرصد فتح أبوابه بعد إعادة تصميمه في العام 2006.

كجوهرة بمساحة ستة أميال مربعة ونصف تقع مباشرة شمال مقاطعة لوس فيلز ذات الأشجار الكثيفة التي عاش في قصورها في أحد الأيام سيسيل بي دي ميل وحشود من ممثليه.

أما اليوم، فقد استضاف المتنزه القومي حديقة حيوانات ذات مستوى عالمي ومرصداً فلكياً، ولكن معظم المساحات المحيطة به كانت غير مبنية حينذاك. أظهرت استكشافاتي أودية صغيرة تنمو فيها نباتات الخنشار وجداول لطيفة حيث كانت تندفع أسماك المنوة وينسل جراد البحر، وأودية منحدرة بلطف تحمل آثار أقدام ذئب البراري، والأيل، وأسد الجبال ومشاهد طبيعية من أعلى التلال تحوم فوقها الصقور بأذيالها الحمراء والشواهين. لم يكن ذلك أعجوبة صنعها الإنسان على غرار سنترال بارك في نيويورك، بل كانت أرضاً برية غير مدجنة تتعايش سوية مع بلاط الحصى والخرسانة. استمر وجود هذا التجاور حتى القرن الواحد والعشرين: فمع كل ازدحامات السير فيها وأبنيتها المكتظة على بعضها البعض، فلا يزال الكثير من لوس انجلس على وضعه الأصلي بدرجة مثيرة للفضول، تطوقها الجبال من ثلاث جهات ويزينها المحيط الهادئ من الجانب الرابع. وأخذتني رحلة مفضلة أخرى على دراجتي باتجاه الجنوب الشرقي إلى متنزه اكسبوزيشين بارك القومي بالقرب من الحرم المهيب لجامعة ساثرن كاليفورنيا حيث أمضيت ساعات منزوياً في متحف التاريخ الطبيعي، أحدق منذهلاً في الغرف المملوءة بالجواهر الثمينة، والمعارض المتبجحة بحمضيات كاليفورنيا العملاقة الفائزة بجوائز، والنماذج البحرية المحفوظة التي تعوم في الفورمالديهايد ونماذج الثدييات الضخمة، الشعثاء ذات العيون الزجاجية. وإثر توقف سريع لتناول البوظة التي يبيعها بائع متجول يتمركز بصورة

أعلاه: راكب دراجة هوائية يقود دراجته على مسار خاص بالدراجات مجاور لرصيف المشاة في منطقة فينيس بيتش في لوس أنجلس. انتشرت شعبية فينيس بيتش لفترة طويلة لدى السياح لجوه الذي يشبه أجواء الكرنفالات.

أدناه: أولاد يلعبون في الماء على رصيف الميناء في سانتا مونيكا. وهي مدينة في مقاطعة غرب لوس أنجلس وقطعة مميزة على ساحل ولاية كاليفورنيا.

لا يمكن تجنبها بالقرب من حدائق الورد المشذبة التي تحد طرف أرض المتحف، قدت دراجتي إلى المنزل مشبعاً جسدياً وعاطفياً.

وفر المناخ اللطيف للوس انجلس والغياب الواضح لأية حدود واضحة حرية لم أكن أتصور أبداً نشأتي فيها على الساحل الشرقي، واعتقد ان هذا المزيج غذى اهتمامي المبكر بعلم النفس كما بحياتي المهنية اللاحقة في كتابة الروايات: لم تكن هناك على ما يبدو أي طريقة افضل لاستيعاب الصور، والروائح، والأحداث، والشخصيات التي كانت تأتي إليّ كلقطات سينمائية مؤطرة بنور خاطف أكثر منها دراسة وتسجيلا للطرق التي لا تعد ولا تحصى للكيفية التي يؤدي بها الناس وظائفهم في هذا المكان المدهش.

غذّت تلك الجرأة في الأحلام اللامحدودة ذاتها طموحات والدي وخلال بضع سنوات بدأت أيام عمله لمدة 15 ساعة تفيدنا وأصبحنا نعيش في منزل خاص بنا، بيت صغير متواضع مبني وفق الطراز الإنجليزي في حي بيكو روبرتسون. فبعد انقضاء عشر سنوات على قدومه إلى لوس انجلس حقق والدي نجاحاً حقيقياً وجمع 18 براءة اختراع وحقق الشهرة كمساهم ذي شأن في سباق علوم الفضاء. توفي قبل ست سنوات، ولكن والدتي التي أصبحت الآن في التسعين تقريباً ولا زالت تعيش في نفس العنوان (ولكنها أعادت تجديد المنزل في الستينيات من القرن العشرين وحولته إلى "شيء حديث"). ويستمر جميع اخوة كيليرمان الثلاثة في تسمية لوس أنجلس وطنهم الأول.

منحوتة متحركة تُشكِّل القطعة المركزية لمتنزه إكسبوزيشن بارك في مركز كاليفورنيا للعلوم.

شقيقتي، وشقيقي، وأنا، مثلنا مثل العديد من الناس الآخرين، نعشق العالم البديل المتمدد البدائي الذي استضافنا قبل خمسين سنة ومعنا أغطية الأذنين وكل الأشياء الأخرى. هناك مشهد في الفيلم الهزلي لستيف مارتن الذي حمل العنوان "بوفينغر"، حيث تهبط فيه الممثلة هيثر غراهام، التي قامت بدور الفتاة الساذجة دايزي، من حافلة ركاب في محطة يونيون ستايشن في لوس أنجلس. تنظر حولها بعينين فيهما بريق وتقول بغرور شاذ شيئاً مثل "حسناً، انا هنا. والآن إلى أين ان أذهب لأصبح نجمة سينمائية؟"

يخدم هذا المستوى الأولمبي من الأوهام غرضه في الفيلم، وينتزع الضحكات المتفهمة من الجمهور. ولكن البراءة الجازمة المضحكة لدايزي ليست غريبة إلى تلك الدرجة عن الحقيقة اليومية للوس انجلس: فهي المكان الذي يأتي إليه الحالمون، كما المعذبون بالكوابيس، لإعادة ابتكار وتشكيل أنفسهم. إذهب غربا، ايها الشاب، ولكن في نهاية المطاف سوف تصطدم بالمحيط ولن تجد لك مكاناً آخر للذهاب إليه. لذلك تدبّر لنفسك خطة.

لوس انجلس تشجع التدفق الثابت للساعين الحالمين إليها. إنها مدينة شركة حيث يكون الوهم إنتاجهم الأول، ومن يدري متى "ستهبط النجمة الكبيرة التالية" من حافلة الركاب؟

حرم جامعة كاليفورنيا الجنوبية. لوس أنجلس.

الحالمون الذين أوجدوا مفهوم الأفلام السينمائية كمشروع تجاري عند منقلب القرن العشرين أغرتهم لوس انجلس بأميال من الأرض المفتوحة التي يمكن تشكيلها لمحاكاة أي شيء من تكساس إلى تاهيتي، وبيئة العصر الفكرية والثقافية التي تصنع بنفسك على هواك، وبالطبع الأرصاد الجوية اللطيفة. فالجذور التي غرسها

في أعلى اليسار: تماثيل جوائز "الأوسكار" والسجادة الحمراء التقليدية تقود الطريق إلى مدخل شراين أوديتوريوم في لوس أنجلس حيث تقام احتفالات توزيع جوائز الأوسكار الأكاديمية في كل سنة.

في الأعلى: هناك عدد كبير من المباني المزخرفة حول جزء منطقة بيفرلي هيلز في لوس أنجلس.

فوق: شارع "روديو درايف" في بيفرلي هيلز يقدم السلع لأصحاب الأذواق الخاصة ومتاجر التسوق الفاخرة.

كل من سينيت، وغولدوين، والأخوان وارنر ومن شابههم، نمت منذ ذلك الوقت بقوة وبصورة متينة. والكثير من شركات الطيران والفضاء التي أغرت والدي في السابق اختفت وتكافح شركات التصنيع في مركز المدينة كي تستطيع التنافس مع مناطق العالم حيث الأجور المتدنية. ولكن المؤسسة التي تسمي نفسها "الصناعة" دون أي إيحاء للسخرية، وشركات الأعمال الناجمة عنها - أي مؤسسات إيجار الملابس، الاختصاصيون بأداء الأدوار الخطرة، والمؤثرات الخاصة ومختبرات مونتاج الأفلام، ووكالات المواهب- كلها توسعت بصورة هائلة. والى مدى أكبر بكثير مما كان عندما انتقلت إلى هنا قبل نصف قرن، أصبحت الأعمال السينمائية تسيطر على المشهد الثقافي، والاجتماعي، والسياسي في لوس انجلس. فمصممو الأزياء الذين قد يسعون للفت اهتمام سيدات المجتمع في شيكاغو، ودالاس، وكانزاس سيتي أصبحوا يوجهون أنظارهم إلى السجادة الحمراء في لوس انجلس. فإذا استطاعت تحفتك الفنية المفتوحة على الكتفين والمكشوفة الظهر، والمرصّعة ان تزيّن الجسم الذي تغطيه، المشدود والمموه بطريقة فنية لممثلة مسجلة على اللائحة "A" ليلة منح جوائز الاوسكار، يمكنك ان تراهن على تحقيق ارتفاع سريع في مبيعات أزيائك في الكثير من مناطق العالم المهتمة بالأزياء. وبصورة مماثلة، تصنف المنتديات الليلية والمطاعم في لوس انجلس في أحيان كثيرة على أساس عدد الشخصيات المشهورة التي تزورها وباستناد اقل إلى نوعية مطبخها. ان ذلك اكثر من نزوة اجتماعية. فالهوس بتحقيق شهرة في الأفلام يغذي خزائن المدينة بدرجة سخية من خلال اجتذاب حشود من آلاف السياح، والمغامرين، وحتى السكان المحليين الذين تدور تخيلاتهم حول مشاهدة نجومهم المفضلين. فلوس انجلس هي المدينة التي عممت شعبية الظهور كسلعة، ومن وجهة نظر تجارية كانت النتائج مذهلة، وخدمت لتدويل المنطقة بكاملها لتصبح ما يسميه السكان المحليون "سوكال" (SoCal) (أي جنوب كاليفورنيا).

إذهب إلى أي مكان من العالم المتحضر وسوف تجد أن كل آدمي سمع بهوليوود. ويسري نفس الشيء بالنسبة لبيفرلي هيلز وماليبو. ومما يثير الاهتمام أن هذين الموقعين البارزين المترفين السابق ذكرهما هما بالفعل مدينتان مستقلتان ابتلعهما التكوين الجغرافي للوس انجلس الذي يبدو بلا نهاية. وباستثناء بضعة مسارح صاخبة، فإن باقي هوليوود مكان غير جذاب بالتأكيد، على درجة متدنية من

الفتنة وعلى درجة عالية من المساومة على الأسعار والبيع بأسعار مخفضة (فكر بالأسعار المغرية في الطوابق السفلية من محال تايمز سكوار). لكن مفهوم هوليوود يتوسع إلى أبعد من كونه مسألة جغرافية محضة، فهي تمسك بقبضة متينة على فكرنا اللاواعي الجماعي وهي تواصل الإغراء والدخول. عندما تشرق الشمس 300 يوماً في السنة، كل شيء يتلألأ.

تبلغ بعض المدن العظيمة فتنتها وجاذبيتها من خلال التخطيط الرائع. وباريس تُشكِّل المثال لذلك النوع من الروعة. جمال لوس انجلس يشكل أعجوبة من المصادفات السارة، النتيجة التصادمية في أكثر الأحيان للرجال حديثي النعمة ومتسلقي السلالم الاجتماعية حيث ينهمكون في تحقيق طموحاتهم غير آبهين بالتقاليد، أو المنطق، أو الذوق السليم. اختر شارعاً بصورة عشوائية في أي حي من أحياء لوس انجلس الغالية وسوف تجد قصوراً تجاوزت المقاييس، بنيت وفق الطراز الاستعماري الجديد، تقف بصورة متلاصقة مع قصور من الطراز الإيطالي الجديد تتشابه في مقاييسها وتقع إلى جانب قصور نصفها مبني بدرجة مسرفة بالخشب من الطراز التيودوري الجديد وتتداخل مع الخطوط حادة الزوايا لقصور معاصرة جداً. وانطلق من الحد الشرقي لبيفرلي هيلز عند جادتي سانسيت ودوهيني باتجاه الحافة الشمالية لماليبو فتكون بذلك قد اجتزت 40 ميلاً مكتظة بعقارات تبلغ أثمانها سبعة أرقام وبني معظمها خلال العقد المنصرم. نهتم كلنا بما هو "جديد"، و"مبتكر" و"خارق." و"فاتن بدرجة مميتة"، وإذا كان ذلك يعني إزالة بضعة معالم قديمة عفنة، فليكن كذلك. لوس انجلس مكانان، في الواقع.

هناك لوس انجلس المدينة العملاقة بحكم استحقاقها الخاص وهي تفترش مساحة 1200 كيلو متر مربع – أي نصف مساحة دولة لوكسمبورغ- ويسكن فيها حوالي 4 ملايين نسمة. ومن ثم هناك لوس انجلس الكبرى، دولة قائمة بنفسها تضم كامل مساحة مقاطعة لوس انجلس وعدة مقاطعات مجاورة مباشرة تشمل اورانج كاونتي، موطن ديزني لاند. والآن فاننا نتحدث عن 17 مليون نسمة يعيشون في منطقة تبلغ مساحتها أربعة أضعاف مساحة لوكسمبورغ. على اعتبار الضخامة المحضة لمنطقتنا، فإننا، وسوف نبقى دائماً هكذا، المدينة الضخمة المحصورة بتابعية مشتركة مع السيارة. لوس انجلس هي المكان الأول حيث صممت مراكز التسوق الكبرى بحيث يستطيع أصحاب السيارات إيقاف سياراتهم والدخول اليها من

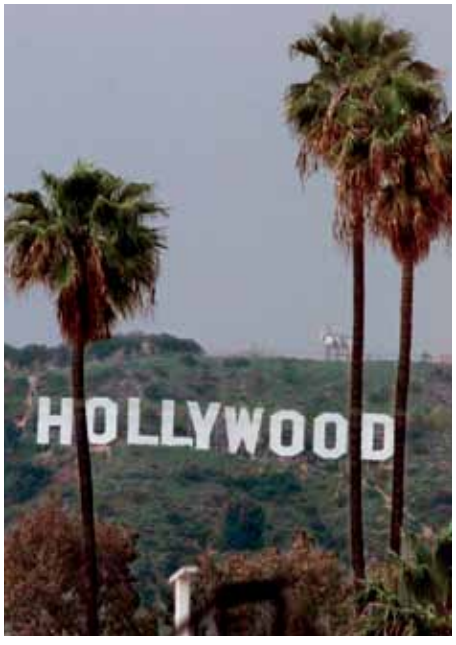

في أعلى اليسار: دولار فيريس الدوار الجديد في سانتا مونيكا المشغّل بالطاقة الشمسية يشرف على منطقة الترفيه الواقعة في متنزه باسفيك على رصيف ميناء سانتا مونيكا.

في أعلى اليمين: شخصية ديزني "تينكربلّ" يلوح بيديه خلال استعراض في ديزني لاند في أناهايم، كاليفورنيا الذي احتفل بالعيد الخمسين لافتتاح أول متنزه قومي في العام 2005.

فوق: لافتة هوليوود التي أقيمت في مكان عالٍ على جبل ماونت لي. أعلى قمة في لوس أنجلس. والتي صنعت في العام 1923 هي معلم يجذب السياح ورمز دائم لفتنة صناعة الترفيه والتسلية في لوس أنجلس.

الخلف. لا تتوقف أبداً الثرثرة حول أنظمة النقل الجماعية، ولكن حصان الكروميوم المعدني الملك الشخصي للفرد لن يتنازل أبداً عن مركزه كناقل رئيسي للناس في لوس انجلس. فأبعادنا سخية في طولها بدرجة مفرطة، وبرامج عملنا مفرطة الحساسية، وتبقى النتيجة النهائية هي اننا نرغب في ان نركب وحدنا.

نحن تشبيه تقريبي غريب لمدينة، حضرية بالتأكيد في جوهرها. ومع ذلك وفي أماكن عديدة من لوس انجلس فان رحلة بالسيارة لمدة نصف ساعة يمكن ان تنقلك من المدينة إلى البرية. سماؤنا صافية دوما وتبقى مدينتنا مكاناً أخضر، تزداد خضرته متحولةً إلى لون زمردي براق عندما تكون الشمس ودية بنوع خاص. سلسلة جبال سانتا مونيكا تمرح عبر لوس انجلس، وتشرف على الغدران والأودية التي شكلتها ثورات براكين الجبال قبل دهور. تعرف على شوارعك الجانبية وسوف تتعرف على السكون بسهولة مدهشة. ثم هناك مسألة الجار الغربي المخلص "الأزرق الكبير اللامتناهي": شريحة من مئة ميل من محيط رائع، لا يمكن التنبؤ بحاله، الذي سمي خطأ المحيط الهادئ. فكر بكل تلك المياه كحوض معمودية للدين الذي هو لوس انجلس.

قم بقيادة سيارتك غرباً إلى سانتا مونيكا- مدينة أخرى مجاورة ابتلعتها لوس انجلس الكبرى- وتوقف عندما لا تستطيع ان تتقدم إلى أبعد. جد مكاناً لإيقاف سيارتك واخرج من السيارة واحتل لنفسك نقطة لتنظر إلى أعلى جبال باليسيدز الواقعة غرب جادة اوشين مباشرة. إركب دولاب الفريس ويل الضخم، الذي يدور فوق رصيف سانتا مونيكا القديم الباعث على الاطمئنان. تنفس الهواء الملحي الغني وظلّل عينيك بإحدى يديك وانظر إلى أشعة الشمس الذهبية التي تكسو آلاف أميال الأفق الأزرق. فإذا صدف وان كنت في يوم صافٍ بصورة خاصة قد تلمح جزر شانيل ايلاندز على مسافة 80 ميلاً إلى الشمال، تتجسد كسرابات رقيقة عبر السديم البحري.

ابقَ هناك لفترة وتخيل عالمك غير المحدود. قبل بضعة أسابيع، جلست على شاطئ بعيد عن الطريق المطروق في ماليبو الغربية وراقبت الفقمة الفيل بوزن 5 آلاف رطل تخرج عند خط المد والجزر لعدة دقائق قبل ان تسبح مع التيارات وتختفي. تحتل أكبر الحيوانات الزعنفية الأقدام أرضاً للتوالد تبعد 140 ميلاً شمال لوس أنجلس عن شاطئ سان سيمون، الذي اشتهر بوجود قلعة هيرست، وهي تصطاد عادة طعامها على عمق ألفي قدم تحت سطح المياه. المنطق يحول دون ظهور الفقمة الفيل على رمال ماليبو. في لوس أنجلس، يعيد الجميع ابتكار أنفسهم.

ركوب الأمواج المتكسرة يروي كل الحكاية. يعود أصل هذه الرياضة إلى هاواي ولكنها تحولت إلى ظاهرة ثقافية في جنوب كاليفورنيا من خلال عبقري من أورانج كاونتي اسمه بريان ويلسون، وإن لم يركب أبداً بالفعل خشبة الأمواج المتكسرة.

"يا حبذا لو كان لكل إنسان محيط، عبر الولايات المتحدة"...
ولكنهم لا يملكون ذلك، ولهذا السبب يأتون إلى لوس انجلس.
ويستمرون في المجيء.
أين يجب ان أذهب لأصبح نجما سينمائيا؟
الإنتاج هو وهم، والوقود هو الحلم.
ليت هذا يبقى هكذا إلى الأبد.

أعلاه: مبنى خشبي يؤطر منظر غياب الشمس في متنزه باليسايد. سانتا مونيكا. في لوس أنجلس.

فوق: مجموعة من السلع الموسمية تعرض للبيع في السوق المركزية الكبرى في لوس أنجلس.

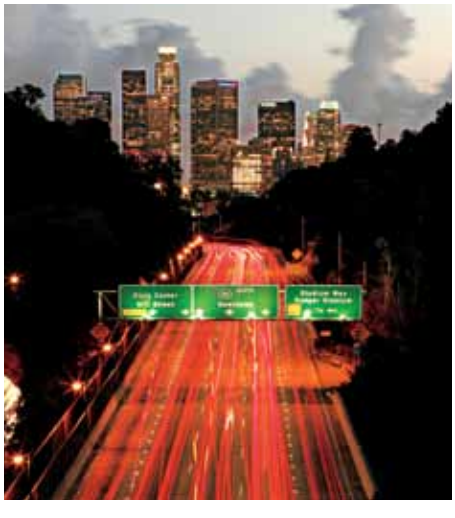

حركة السير تمر على طول طريق السيارات السريع المتجه جنوباً إلى وسط مدينة لوس أنجلس في أولى ساعات المساء.

B
KING'S
BLUES
CLUB
NEWCASTLE
BROWN ALE
JUMBO

السير نائماً في ممفيس

يعاودني هذا الحلم المتكرر بأن الحي المخرب في وسط المدينة القائم على امتداد شارع نورث مين في مدينتي ممفيس قد أعيد إلى الحياة. هناك توجد متاجر، مقاه، مسارح، وأناس يعيشون في شقق أعيد تجديدها فوق شركات أعمال مزدهرة. كان الحلم نابضاً بالحياة لدرجة انني كنت خلال زياراتي النادرة إلى المدينة أعود إلى ذلك الحي القديم الذي يدعى بينش، لأرى ما إذا كان الحلم قد أصبح واقعاً حقيقياً. والحقيقة ان هناك بعض الإشارات لتجدد الحياة: حافلة تسير، حانة رياضية مع مطعم شواء، ولكن كل هذه كانت مجرد إيماءات بسيطة في وجه الخراب الحضري الحاصل على نطاق واسع.

تقع مدينة ممفيس على خط تصدع جيولوجي شهير، وتصدر الأرض دورياً همهمات كما لو أن الأرض تحاول أن تتقيأ ماضياً لم تتمكن من هضمه بالكامل. عندما كنت صغيراً، كنت لا أسمع هذه الأصوات. كان مشهدها الطبيعي النموذجي بالنسبة لي يشبه نوعاً ما مدينة باريس أيام دارتانيان، رابضة فوق هضبة طرزان، ولم يكن لها علاقة تقريباً مع الحالة الفعلية لممفيس على منحدرها الصخري المشرف على الميسيسيبي.

تلك المدينة، استناداً إلى المعتقدات السائدة في تلك الأزمان، كانت قد أزالت معظم الأبنية التي تدعي بوجود أي علاقة لها بالتاريخ، بحيث انك إذا نظرت إلى الخلف لن تتمكن من رؤية ابعد من المسافة التي ولدت فيها. كان محكوما عليك بأن تصاب بنوع من قصر النظر عبر التسلسل الزمني. علاوة على ذلك، وكيهودي أعيش في مدينة أعلنت عن نفسها بأنها الرباط لحزام الإنجيل (تتفاخر ممفيس بوجود كنائس فيها اكثر من محطات بيع المحروقات)، كنت دائماً أشعر بوضعي كإنسان دخيل. ومن جهة أخرى، تمكن معبد الإصلاح اليهودي الذي كانت تنتمي إليه عائلتي من محو معظم عناصر التقاليد في محاولة منها لجعلها غير مرئية في الواقع. كان الحاخام يرتدي الرداء الكنسي، وكان الكورس يغني من شرفة مخصصة لمواسير الأرغن.

وكانت النتيجة انه عندما بلغت سن الرشد غادرت المدينة بدون محاولة إلقاء نظرة إلى الوراء. وبدون إرث يُمكنني من التكلّم عنه، ومستقبلٍ ملبد بالغيوم بسبب ظلال "القنبلة"، عشت لبعض الوقت حياة جيلي، حيث كنت أداوي نفسي ضد رهاب الاحتجاز في تلك اللحظة. وعند نقطة ما، بدأت اكتب قصصا حاولت فيها ان أخفف من حدة الجو الخانق لأواخر القرن العشرين باختراع خيالات غير ممكنة. بعد عقد واحد او ما شابه، وبعد أن نضب ذهني من الخيارات، عدت إلى حيث بدأت، خجلاً من كوني لا أملك الكثير لأبيّنه نتيجة تنقلاتي الهائمة.

وبالعودة إلى المدينة التي كانت مساعدة كثيرا لرغبتي بأن أكون في مكان آخر، عثرت صدفة على وظيفة في مركز للفلوكلور المحلي. لم يكن ذلك بسبب محبتي لهذا الموضوع، فقد كنت اعتبر الفولوكلور نَسيباً ضعيفاً للأدب، بل كان ذلك

ستيف شتيرن

ستيف شتيرن ولد في ممفيس، ولاية تينيسي، ويقسم حاليا بين بروكلين وشمال ولاية نيويورك حيث يدرّس الأدب والكتابة الإبداعية في كلية سكيدمور، وهو مؤلف لتسع روايات شملت مجموعات "لازار مالكين يدخل إلى الجنة"، التي نالت جائزة ادوارد لويس والانت للروايات الأميركية اليهودية و"مهرج العرس،"التي نالت الجائزة القومية للكتاب اليهودي، حصل على منحة اولبرايت للتدريس في إسرائيل وعلى زمالة غوغنهايم. أحدث كتبه كانت رواية "الحاخام المتجمد".

منطقة الترفيه "كوبر يونغ" في ممفيس هي منطقة تاريخية يتعايش فيها الفنانون، وصالات العرض الفنية، والمطاعم.

الصفحة المقابلة: شارع بيل الأسطوري في ممفيس، مكان موسيقى البلوز والروك أند رول.

بمثابة حاجة محضة. كانت الوظيفة المتعلقة باستنساخ نصوص أشرطة تاريخية شفهية تحمل نوعاً من الكفارة التي ناسبتني مع اني اكتشفت بعد بعض الوقت، رغم كدري، بأني أجد متعة في ذلك. كانت الأصوات المسجلة على الأشرطة أصوات تلك الحفلات القديمة التي تذكر بفترة ذروة أمجاد شارع بيل الأسطوري، الذي كان في وقت ما الشارع الرئيسي للثقافة السوداء في الجنوب الأوسط. كانت الأصوات تصف الحيوية الفجة لأماكن الملذات، والحانات السيئة السمعة، وأطباء الأعشاب، وحملة الأمواس، والمتغطرسين من ذوي الأسنان المحشوة بالألماس، وعمال المرافئ، وراقصات المتعة الجامحة من ذوات البشرة النحاسية.

كانت الأشرطة تتذكر سفينة الرحلات ورجال موسيقى البلوز في الاستعراضات الطبية، والنهر قبل إنشاء السدود على نهر تينيسي عندما كان يفيض في كل ربيع. عند ذلك كانت تتراجع روافد النهر ويتحول حوض شارع بيل إلى شبه بحيرة يجتازها المواطنون في زوارق خشبية تعلق عليها المصابيح.

وكمشهد طبيعي، كان علي ان أعترف بأن هذه كانت أكثر من نظير في الرومانسية، وما كان يهمني بصورة خاصة وجود يهود في التسجيلات أيضاً. لأنه من بين الأصوات السوداء كانت هناك أصوات التجار المهاجرين الكبار في السن والسماسرة الذين شاركوا بكل حماس في حياة الشارع. ولعجزي عن إخفاء إعجابي، تمت ملاحظتي. بعد ان أدرك صاحب عملي بأني من السكان المحليين، وأعمل براتب متدنٍ، ويهودي أيضاً، أعطاني منصب مدير "مشروع التراث الاثني"، الذي كانت مهمتَه المستمرة البحث عن جذور المجتمع الأهلي في الحي اليهودي المنغلق على نفسه في منطقة بينش.

والذي وجدته بعد أن حددت مكانه – لاني لم أكن قد سمعت أبداً باسم هذا

أعلاه: نهر الميسيسيبي وخط أفق مدينة ممفيس عند الغسق.

فوق: رحلة على ظهر إحدى المراكب النهرية في ممفيس تُشكّل جاذباً شعبياً للسياح.

في أعلى اليسار: شارع بيل يقدم خلال النهار المتاحف ومتجراً للسلع الجافة. يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر.

في أعلى اليمين: ساحة "بيبودي بلايس". تُشكِّل قلب وسط مدينة ممفيس وهي حجر الزاوية لنهضة المدينة.

إلى اليسار: العديد من نوادي موسيقى البلوز تحيط بشارع بيل. فوق: يقع متحف ستاكس للموسيقى الدينية الأميركية على الموقع الأصلي لشركة ستاكس ريكوردز حيث سجل موسيقيون أسطوريون لموسيقى البلوز موسيقاهم.

المكان – كان بمثابة صحراء لحيّ، وكانت الآثار المتبقية الوحيدة لماضيه اليهودي ساحة تجمع فيها الخردة كانت تملكها ثلاثة أجيال متتالية من عائلة بلوكمان، وكنيس من الطوب مهدم كان آخر تجسيد لوجوده ملهى ليلي صغير للمنحرفين. وبخلاف ذلك، كان الشارع منطقة مقفرة مؤلفة من ساحات فارغة تخنقها الأعشاب، ومبانٍ مهجورة، ومحطة توليد للطاقة، وممر منحدر لجسر. ولكن عندما بدأت أتعقب المتبقّين من ذلك المجتمع المحلي المتلاشي وجميعهم كانوا من المتقدمين في العمر ويعيشون في مكان في الضواحي بعيداً عن شارع نورث مين، حدث شيء: الهمهمات تحت الأرض التي تجاهلتها طوال حياتي تضخم حجمها وتأوجت في انفجار هائل، وارتفع حي بينش القديم بكل تفاعلاته اللاذعة كقارة كانت ضائعة وخرجت من الماضي مع سكانها الذين كانوا لا يزالون سالمين.

هذه هي الطريقة التي بدا فيها لي، لعلى كنت على استعداد تام لتقبلها. سُحرت بالشهادات التي أدلى بها الشهود الأحياء، لذلك تمكنت من أن أتعرف على الموتى. كان من بينهم ريب دوبروفنر، الجزار الذي يذبح لحم الكوشر، وافروم بنسكر، أستاذ اللغة العبرية اللاذع، والسيد والسيدة ماكوسكي، الأم والأب اللذان يهربان الخمور، وزميلهم لازار صاحب اللحية التي وخطها الشيب، الذي قدم نفسه عند استدعائه (أمام المحكمة) على انه رهينة للتقوى موثقاً بالسيور الجلدية التي تتعلق منها علبة دعاءاته اليهودية. وكان هناك موك تاوبنبلات، المعقّب، وتوليغز شارلي

روزبنلوم، المقامر السريع الغضب المبتور الساقين، والأرملة البدينة "ويدو وولف" التي علّمت عديمي الخبرة كيف يهددون لابتزاز المال.

كان هناك الزوجان غالينزيانر شاسيدس في عليّتهم فوق متجر العلف، الذين كانا وفقاً لكافة التقارير يصليان وهما معلقان في الهواء، وكان هناك الشباب الذين يدرسون التلمود والتوراة، ويرمون سمك السلور في الحمام الشعائري، وخلال ليلة الهواة أثناء ساعات التوقف عن العمل، قطعوا روزي دلوغاش إلى نصفين. كانت هناك شجرة الكستناء في منتزه ماركت سكوير، التي كان ينام تحتها سكان الأحياء المجاورة في ليالي الصيف عندما كانوا يهربون من الحر الشديد في شققهم المستأجرة بينما كان الذين يتعلمون التلمود يقفزون على الأغصان التي فوقهم كما لو كانوا يقفزون من حلم إلى حلم.

كانت الأحلام بحد ذاتها مكتظة بشخصيات آتية من الأساطير التي حملها معهم المهاجرون من العالم القديم مع أسرتهم الريشية وسماوارات الشاي – "الديبوك"، والروح الميتة التي استحوذت على ميني كليبفيش في ليلة عرسها، والروح الشريرة ليليت، الزوجة العابثة الاولى لآدم التي زارت فراش العازب سامي فوكس، والأعرج فوفنيك، القديس الخفي، وفيشيل بوتوينيك، الغبي الذي عاش في كوخ خلف ساحة الخردة لعائلة بلوكمان، والذي من أجله امتنع الله عن تدمير العالم.

كنت قد سمعت تعريفا للحياة على انها لمحة صغيرة في الزمن بين أبديتين، ولكن بالنسبة لي كانت بينش محطة للأبدية يحيط بها الزمن. يمكنك الدخول إليها، وجمع القصص كالمنّ من السماء، وجمعها ربما إلى الأبد – مهمة مثيرة للنشوة. ولكن الذي حصل، ان الماضي كان عملية حدثت خلال لحظة: بدأ الوقت بسرعة يغلق صفوفه وابتلعت الأرض من جديد أو (بلغة السحر) بدأت أموال المنحة تنفد.

كنت قد اعتدت على التسكع، وكنت اعرف افضل من ذلك. كنت أتملك الذكريات بجشع – قصة لازار مالكين، التاجر الجوال، الذي نقله ملاك الموت إلى الجنة حياً، السمكري العجوز جيك الاباستر الذي سافر متبعاً خريطة أعطاها له حاخام متصوف إلى بطون جهنم لاستعادة زوجته الراحلة صوفي الثرثارة – أعود إلى لحظتي عندما يصبح ذلك البعد اللازمني (فكروا بانشقاق البحر الأحمر) جزءاً

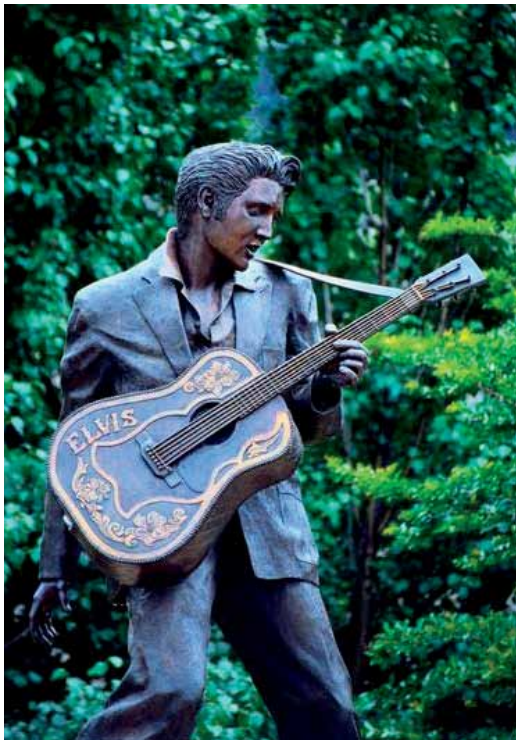

في أعلى اليسار: موسيقيون يعزفون في مركز الفولكلور الجنوبي ومهمته "المحافظة على موسيقى وثقافة وفنون وإيقاعات الجنوب والدفاع عنها وحمايتها وترويجها."

في أعلى اليمين: منذ تسعينات القرن التاسع عشر صمد مسرح أورفيوم في وجه الأوقات الصعبة في ممفيس. وعملية إعادة بنائه وتجديده الناجحة منحت حياة جديدة لهذا المسرح.

فوق: تمثال لأسطورة موسيقى الروك اند رول ألفيس برسلي.

من التاريخ مرة أخرى. بحلول ذلك الوقت كانت قد مرت سنوات عديدة: كنت في منتصف العمر. ونشرت كتبي القليلة التي احتوت قصصاً سرقتها من البيش، وأيضاً على ما يبدو تجاوزت قصر نظري، لاني، وانا أنظر إلى الخلف، أستطيع الآن ان أرى حتى مسافة عظيمة. أستطيع ان أرى حتى المسافة التي جمع خلالها المستكشفون الأسبان السكان الأصليين ليذبحوهم على ضفاف النهر خلال رحلتهم العديمة الرحمة باتجاه الغرب بحثاً عن الذهب، أستطيع ان أرى اللاجئين الايرلنديين الهاربين من مجاعة البطاطا الكبرى الذين فككوا قواربهم لبناء الأكواخ التي عاشوا فيها حول ضفاف خليج كاتفيش.

وفي وقت لاحق سوف يرغبون باستبدال جوز الكونفدرالية بالأثواب الكتانية لرجال كوكلوكس كلان الذين أغاروا على الأرقاء المحررين حديثاً على امتداد سموكي رو. أستطيع ان أرى الأجساد المكدسة تنتظر من يواريها الثرى في مقبرة إيلموود خلال وباء الهواء الأصفر الذي لم تتمكن المدينة ان تستعيد عافيتها منه إلى حد ما، يمكنني أن أرى في المسافة القريبة من النقطة التي استقر فيها اليهود مرة ومن ثم استمروا في الانتقال، منطقة دمرت لاحقاً بسبب ما يسمى بالتجديد الحضري الذي تصادف مع اغتيال مارتن لوثر كينغ، والذي شكل بالفعل الضربة القاضية لمدينة كانت تنحدر. كان حدثاً عزز اللعنة التي أطلقها أفراد قبيلة شيكاساو منذ وقت طويل على المدينة التي كانت تزدهر عندما طردوا إلى المنفى من أجرافهم الأصلية.

ولكن أحلامي المتفائلة لا زالت مستمرة، وفيها يعاد إحياء الشوارع الميتة في حياة مستقبلية تعج بالحركة، الأحياء المجاورة لوسط المدينة المخربة المكتظة بالمشاة وبكرنفال تجاري نابض بالحياة. المشهد حيوي للغاية لدرجة اني أعود إليه دورياً لفحص نفايات نورث ميين على الأقل للتأكد ما إذا كانت الأحلام قد تركت بعض الأثر – ربما شظية من ذلك الاصطدام البعيد بين الزمن والأبدية، او شرارة من تلك الحافلة الصغيرة التي تثير الحنين إلى الماضي والتي أستطيع الآن ان انفخ فيها حريق الاشتعال. ثم من المحتمل ان يشتعل اللهب ليصبح حريقاً كبيراً يستطيع الشخص ان يقتلع نفسه منه كطير الفينيق – ماذا؟ ربما لقصة أخرى.

في أعلى اليسار: زوار في المتنزه أوتو زون في ممفيس ينظرون إلى لوحة جدارية جديدة رسمت على جدار مبنى مجاور.

في أعلى اليمين: المتحف القومي للحقوق المدنية يضم تمثالا لروزا باركس. وهي تجلس على مقعد أمامي من حافلة ركاب.

أعلاه: زائر شاب يلمس لوحة تذكارية في ممفيس تشير إلى المكان الذي اغتيل فيه مارتن لوثر كينغ الابن في 4 نيسان/أبريل. 1968.

ميامي، دياري في نهاية المطاف

كنت أهيم على وجهي، تائهة وغريبة عن المكان، في الظلال الرمادية إلى ان أيقظتني فجأة السماء الزرقاء الساطعة لميامي. وبدأت حياتي في ذلك اليوم. لم يكن الأمر أني أجهل ما أريد. فقد كنت أعرف بأني كاتبة منذ سن الرابعة، في باترسون، نيوجيرسي، حيث ولدت. لم أكن أستطيع القراءة بعد، ولكن والدتي كانت تقرأ القصص لي وأصبحت مدمنة على القصص. أخبرت كل الناس بأنني سوف أكتب الكتب عندما أكبر. وكانت الروايات هي التي كنت أفكر فيها، ولكن لم يكن ذلك سهلاً.

سرعان ما التحقت والدتي بالعمل ولم يعد يتسنى لها الوقت لكي تقرأ لي القصص، وهكذا، بحثت عن مكان آخر. لم يكن يسمح لي بأن اجتاز الشارع، لذلك استدرت حول مباني الشارع. كنت احمل كتاباً تحت إبطي واعترض سبيل كل من أقابله: موزع البريد، الجيران، وغرباء كليا، أتوسل إليهم أن يقرأوا لي. كانوا جميعاً كثيري المشاغل. لذلك تعلمت القراءة في وقت مبكر وأصبحت مدمنة على مطالعة الصحف التي كان والدي يشتريها لمعرفة نتائج السباقات.

الصحيفة اليومية هي كناية عن منجم من الذهب لقارئة جديدة مدمنة على القصص. كان والدي واحداً من عشرة أبناء. وكانت والدته المولودة في أوكرانيا، والتي كانت ترتدي دائماً تقريباً البابوشكا ونادراً ما كانت تنتعل أي حذاء، قد أصبحت أرملة في سن شابة إثر كارثة حصلت في منجم للفحم الحجري في بنسلفانيا. تُركت حبلى مع عدد من الأطفال الصغار. تزوجت أفضل صديق لزوجها الراحل، وهو عامل مصنع بولندي ضخم ومنفر المنظر. في صورة فوتوغرافية التقطت في البلاد القديمة، يركب جدي حصاناً مرتدياً بزة عسكرية. لم يكن واضحاً بالضبط بالنسبة لي اسم الجيش الذي كان يخدم فيه، ولكنه كان يحمل سيفاً ووجهاً عبوساً مرعباً.

عاش جدي وجدتي قريبا في أسفل الشارع. لم تكن جدتي تقرأ اللغة الإنجليزية. ولكن لم يكن ذلك مشكلة. فقد تعلمت أنا القراءة الآن واشتعلت حماسة لمشاطرة القصص معها. كانت تتهادى حافية القدمين في مطبخها بينما كنت أجلس في مقعد خشبي حول طاولتها واقرأ لها من الصحيفة.

كانت تضحك أحياناً، وكانت تعبر عن صدمتها في معظم الأحيان. كان عالمها المحمي يدور حول مطبخها الدافئ الذي تتصاعد منه الروائح الشهية، وحول حديقة خضارها وأزهارها اليانعة، وحول عائلتها الكبيرة المترابطة معاً بوثوق. كانت تتمتم أحياناً بلغتها الأصلية وعيناها قد اغرورقتا بالدموع، لاقتناعها بأني ألفت تلك القصص الأخبارية المذهلة. كانت هذه المرة الأولى، ولكنها لم تكن الأخيرة، التي سأتُهم فيها بذلك.

بدأت كتابة أول رواية لي عندما كنت في سن السابعة وملأت عدة دفاتر إنشاء بيضاء وسوداء، ولكن والدتي رمتهم جميعاً عندما لم أكن في المنزل. هجرنا والدي في

بقلم إدنا بوكانان

”في ميامي، هناك بعض الشخصيات التي يُذكر اسمها الأول بانتظام عند التحدث عنها من جانب ناس لم يقابلوهم أبداً بالفعل. أحد هؤلاء هو فيدل، والآخر هو إدنا“
- كالفين تريلين في صحيفة نيويوركر.

إدنا بوكانان، الصحفية الفائزة بجائزة بيولتزر ومؤلفة الروايات البوليسية التي حصلت على جوائز، ألفت 18 كتاباً، 15 من بينها روايات، وآلاف من المقالات والقصص القصيرة. تعيش في ميامي، المدينة الأشد حرارة على وجه الأرض، مع زوجها مايكل وكلبين ومجموعة من القطط.

طيور البشروس تستقر في موطنها الجديد في جزيرة باروت جانغل، التي تُشكِّل منطقة اجتذاب مفضلة إلى جانب الطريق في ميامي.

الصفحة المقابلة: خط أفق ميامي مرسوم مقابل السماء الزرقاء.

مشهد نموذجي على امتداد الواجهة البحرية في ميامي.

نفس السنة ولم أره أبداً ثانية.

وسرعان ما اكتشفت بعد ذلك كتاب شجرة عائلة جدتي لوالدتي. عرفت انها تنحدر من جماعة الهوغونوت الفرنسية التي وصلت إلى العالم الجديد عن طريق هولندا قبل سنتين من بيع الهنود الحمر جزيرة مانهاتن. أحد الأسلاف، وهو صموئيل بروفوست، الذي كان أول أسقف للكنيسة المشيخية البروتستانية في نيويورك، خدم في الاحتفال الرسمي لتنصيب الرئيس جورج واشنطن رئيساً للبلاد. وخدم سلف آخر مع الجنرال واشنطن خلال فصل الشتاء الطويل والرهيب في فالي فورج.

المغامرات الوطنية لأسلاف ماتوا منذ وقت طويل أشعلت في قلبي حباً للتاريخ دام طوال حياتي.

رفضت جدتي خطيبها الثري لتتزوج جدي، وهو ابن صانع أشرعة ألماني. وانتظرت عودة جدي، معلم المدرسة الفقير، عندما كان يحارب في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى. توفيت جدتي عندما كانت والدتي الإبنة الوحيدة في سن الثانية عشر.

بعد انقضاء أربع سنوات، هربت والدتي للزواج من والدي. كانت في سن السابعة عشرة وعنيدة عندما ولدت أنا. وبعد ان هجرنا والدي، قطعت أمي جميع الروابط العائلية وتنقّلنا بصورة متكررة. كنت دائماً الفتاة الجديدة في المدرسة، وكنت الفتاة الأطول في صفي، قصيرة النظر، خرقاء، وفاشلة في الرياضة. كنت واعية لذاتي، وثقيلة الحركة وأرتدي ملابس مستعملة أعطتها زميلات والدتي لها في العمل. اعتقدت ان كل الناس كانوا يسخرون مني، وكان ذلك لسبب وجيه. كنت طالبة فاقدة الأمل ومتمردة دون إمكانيات للمستقبل، وكرهت المدرسة.

بحار حذر يثبت مركبه استعداداً لمواجهة الرياح القوية التي تتجمع خارج شاطئ ميامي.

الكتب، والصحف اليومية، ومعلمة اللغة الإنجليزية عندما كنت في الصف السابع، السيدة تونس، كانت النقاط الوحيدة المضيئة في طفولتي. سألتني مرة، أمام جميع طلاب الصف، إذا كنت سأهدي إليها كتاباً من تأليفي في أحد الأيام. إيمانها بأني أستطيع ان أكتب جعلني أومن بذلك أنا أيضاً. أطلعتها على أول نموذج رفض تلقيته من صحيفة ساتردي ايفنينغ بوست. قالت لي، "سوف تتلقين الكثير من هذه، ولكن يجب ان لا تستسلمي أبداً لأنك سوف تكتبين وتبيعين كتبك في يوم من الأيام". أصبحت كلماتها الكلمات التي كنت أعيش بها، والتي اشتعلت في ذهني وأنا في سن الحادية عشرة.

بعد مضي عقود على ذلك، أهديت أحد كتبي إلى السيدة تونس، ولم تعرف ذلك أبداً، فقد توفيت في سن الثامنة والأربعين، عندما كنت لا أزال في الصف الثامن. لو كانت لا تزال على قيد الحياة حتى الآن كان من المحتمل ان لا تتذكرني، ولكني سأظل دائماً أذكرها. والدليل على ذلك انه في هذه المنسوجة الهائلة التي نسميها الحياة، يحدث عمل صغير، أو تقال بضع كلمات، فيظل يتردد صداها لسنوات قادمة وحتى انها قد تستطيع ان تغير الحياة بعد سنوات.

نستطيع ان نكون جميعاً أناسا آخرين بفضل السيدة تونس.

حفزتني والدتي متزايدة الهموم على ترك المدرسة والعمل بدوام كامل. فكرمتها بالقبول. لكن لم يتغير أي شيء. بقيت اشعر كإنسان نازح، أسير على غير هدى بدون دفّة ولا مقصد بعد حرب طفولتي وايام فصول الشتاء الطويلة، الباردة، الرمادية. وشهر شباط/ فبراير هو الأسوأ إذ كان يبدو أن فصل الربيع لن يأتي أبداً. وكانت أحلام طفولتي في الكتابة تبدو بلا أمل كذلك.

أول عطلة صيفية لي، أسبوع على شاطئ جيرسي، كانت كئيبة مثل حياتي. هطل المطر بغزارة طوال الفترة وغطت الطحالب البحرية الشاطئ، وفاحت منها رائحة سمك ميت. أبداً لن أفعل ذلك مرة أخرى. أقسمت اني في المرة القادمة سوف أجد شاطئاً تغمره الشمس تحت سماء زرقاء ساطعة.

لم يكن هذا المكان غير ميامي، وميامي بيتش، المدينة الساحرة وملعب العالم؟ سعيت إلى السماء الزرقاء وضوء الشمس ولكني وجدت أكثر من ذلك بكثير. اللمحة الأولى لميامي التي لاحت لي من المقعد الخلفي لسيارة أجرة شكّلت بعد سنة تجربة عاطفية مفاجئة لي. حرقني الدمع في عيني. لم تكن هذه عطلة، بل كانت عودة إلى الموطن. لم أكن قد زرت ميامي قبلاً ولكني عرفتها فوراً. لقد عدت أخيراً إلى دياري. لقد تركت خلفي الفيلم الإخباري بالأسود والأبيض المبرغل ودخلت في عصر الألوان، والسينما سكوب، والحياة الحقيقية. وبسبب بعض الظروف الكونية الطارئة كنت قد ولدت في المكان الخاطئ ولكن شكراً لله لقد وجدت طريقي إلى موطني.

النبض القوي النشط لهذه المدينة الأميركية بكل معنى، وكانت على وشك التحول إلى عاصمة أجنبية غرائبية - وأليس آيلاند الجديدة للبلاد – مست روحي، فحتى السماء فيها كانت كثيرة الاختلاف. تبحر الغيوم البيضاء كسفن قراصنة فوق ميامي خلال الليل، ولا يوجد أي مكان آخر في البلاد يكون فيه بزوغ هلال القمر مقلوباً، مثل طاس مقلوب رأساً على عقب، في سماء مرصعة بالنجوم تخططها الألوان الوردية، والقرمزية، والذهبية. عندما رأيت النجوم الخمس للصليب الجنوبي، التي لا يمكن رؤيتها شمال ميامي نسيت نيوجيرسي.

أعلاه: فنادق فاخرة وشقق سكنية وأميال من شواطئ الرمل الأبيض تجذب السياح إلى الواجهة البحرية في ميامي.

فوق: صديقان يتحدثان في المتنزه المشرف على خليج بيسكاين في قسم كوكونات غروف في ميامي.

لقد أطلقت ميامي إبداعي وبدأت أكتب وأكتب. ملأت القصص رأسي، وطالبتني الشخصيات بصخب أن أسمعها بينما انسابت الكلمات وكأنها أنهار متدفقة من نار. في صف تعليم الكتابة الخلاقة، التقيت بأناس يشبهونني بضمنهم رجل يعمل في صحيفة يومية صغيرة تصدر في ميامي كان بحاجة إلى مراسل. قدمت طلباً وأجريت اختباراً في الكتابة ولدهشتي جرى توظيفي للتو، رغم عدم امتلاكي أي خبرة سابقة. قال لي المحرر الجديد وهو يهز يدي مصافحا "أهنئك لقد أصبحت الآن صحفية." توجست في ان يكون هناك شيء أكثر من ذلك الأمر. ولكني كنت دائماً أحب الصحف اليومية. كانت العناوين الرئيسية الأكثر جدارة بالتذكر تتعلق بقصص حول الأمراء السمر لطفولتي. ويللي (الممثل) ساتون، بايب روث من عصابة السطو على المصارف، جورج ميتسكي، مفجر القنابل المجنون في نيويورك، ولاكي لوسيانو، الرجل الذي نظم العصابة. سوف أعمل مراسلة صحفية خلال النهار، بينما اكتب الرواية الأميركية العظيمة خلال الليل، كما كنت أفكر بسرور. وكم كنت ساذجة. لم أعرف أبداً أن دوامة العمل الصحفي اليومي لا تترك لي وقتاً كافياً لقراءة رواية، فكم بالأحرى كتابة رواية. بروح معنوية عززتها الطاقة والحماسة الفياضة للشباب، تعلمت وأنا أعمل ستة وسبعة أيام في الأسبوع وعشقت ذلك. وكان السبب انه بعد أول تنفس لي لهواء الصيف المشبع بالبخار، ومع تبخر موجات الحر من الرصيف الشديد االحرارة وارتفاع أشجار النخيل في السماء الزرقاء البراقة، أصبحت إنساناً مختلفاً موجوداً في نهاية المطاف في الزمن الصحيح وفي المكان الصحيح. كنت أستطيع ان أفكر، وحتى ان أرى، بوضوح أكثر في الضوء الذي لا يصدق لميامي.

أعلاه: أشجار النخيل تزين بخضرتها الفنادق والشقق الفاخرة في ميامي.

فوق: فنادق مصممة وفق أسلوب آرت ديكو تغمرها أضواء النيون في أوشين درايف. إحدى الجادات الشهيرة.

أدناه: قسم ساوث بيتش من شاطئ ميامي لا يزال يُشكّل معلما ينبض حيوية لأسلوب آرت ديكو الذي كان سائداً خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين.

في الأعلى إلى اليسار: مدخل معرض الكتاب الدولي في ميامي.

في الأعلى إلى اليمين: في حيّ ليتل هافانا من ميامي. الناس يقفون في طابور لشراء مأكولات الذواقة الأميركية اللاتينية.

فوق إلى اليسار: راقصون يحتفلون بيوم الكومنولث لبورتوريكو في حي وينوود في ميامي.

فوق: شابة تتفرج على الاحتفالات في مهرجان ميكوسوكي للفنون في متنزه إيفرغليدز في ولاية فلوريدا.

أجريت مقابلات مع شخصيات بارزة، غطيت أخبار السياسة، والجرائم، والمحاكم، وكتبت عموداً، وتحقيقات أخبارية، وأعمدة النعوات، اخترت الكلاب لدائرة الرياضة، أصبحت مصورة صحفية، تعلمت كيف اركّب الصفحات وأرتبها، اقرأ رأساً على عقب، أصمم الأحرف الطباعية، وبدأت أفوز بالجوائز للعمل كمراسلة وللتصوير الصحفي.

ثم توظفت لدى صحيفة ميامي هيرالد. كانت أول قصة كتبتها هذه اللاجئة من جيرسي لصحيفة ميامي هيرالد تتعلق بلاجئ كوبي هرب والداه الروسيان من حكم البلاشفة للاستقرار في هافانا عام 1918. والآن، فر ابنه، وزوجته، وأطفالهما من كوبا واستقروا في ميامي، وبفضل منحة قدمتها إدارة شركات الأعمال الصغيرة أقاموا مصنعاً هو الوحيد لصنع الأعلام الأميركية في جنوب الولايات المتحدة. انجذبت بسرعة إلى الكتابة حول الوظائف الوضيعة لرجال الشرطة متأثرة على الأرجح بالأمراء السمر. كانت وظيفتي تقذفني بعيداً في كل يوم. يا لهذا المنجم الذهبي. أعمال رجال الشرطة هي رواية شكسبيرية على طبيعتها. في كل يوم كنت أقابل هملت، اوثيلو، روميو وجولييت، او الملك لير في الشوارع الوضيعة في ميامي. وفي بعض الأيام السيئة كنت أقابلهم جميعاً.

وهكذا يخاطر باحثون عديدون بحياتهم ويفقد بعضهم حياته، من خلال السعي لتحقيق حلم ميامي. معظمهم من اللاجئين الهاربين من الحروب، من الحكام الطغاة، ومن الفقر- ومن شياطينهم الشخصية الخاصة. ثم يحوّل غروب الشمس دم البحر إلى الأحمر، ويرتفع البدر كاملاً قرصا كبيرا فوق ميامي، وتحلّق درجات

رهبان بوذيون تايلنديون يرنمون خلال الخدمة الصباحية في معبد في ميامي.

الحرارة، وينخفض الضغط البارومتري وتنفجر جهنم.

انها مكان عظيم ليكون المرء فيه مراسلاً. وأكثر من أي شيء آخر، أحببت الكتابة حول الأبطال وذلك، بالطبع، لأن الأفضل والأكثر شجاعة بيننا ليسوا رجال شرطة متفوقين أو رجال الإطفاء، بل هم أناس عاديون يهبّون لاغتنام الفرصة وعمل الشيء الاستثنائي عندما يتوجب عليهم ان يعملوه. ليس من الضروري ان تكون رامبو لكي تصبح بطلاً. فبعض الأبطال الذين كتبت عنهم كانوا ربات بيوت قصيرات البصر، وسائقي شاحنات مفرطي الوزن، أطفالا شجعانا، وأرامل متقدمات في العمر. في بعض الأحيان، يكون مجرد البقاء على قيد الحياة عملاً بطولياً.

العديدون لا يحققون ذلك. الزيارة الأولى من زيارات عديدة قمت بها لمشرحة ميامي تركتني ناقمة. يظهر الإدراك الحسي للكاتب عندما يرى محنة المضطهدين، الإنسان الضعيف يُدفع من ناحية إلى أخرى، ضحية الظلم. الموت السريع المبكر، في أي سن، هو عمل ظالم. كنت أتحرّق للتحقيق من قصة كل واحد وكتابتها. ماذا حدث؟ ما الشيء الخاطئ الذي حصل؟ كيف كان من الممكن إنقاذهم؟ ما هذه المدينة العظيمة للكتّاب الذين يجتمعون من كل مكان في كل فصل خريف للاحتفال بالتنوع في المعرض القومي الدولي للكتاب في ميامي. مئات الآلاف من القراء يحتشدون لزيارة الحدث الذي يستمر لمدة أسبوع لسماع أقوال مئات الكتّاب من مختلف أنحاء العالم. والعلّة الوحيدة للروائيين هي انه يكون من الصعب أحياناً كتابة رواية في مدينة حيث تكون الحقيقة أغرب من الخيال.

ميامي حافلة بالمفاجئات.

مثل ثعابين البايتون البورمية، أفاعي الأناكوندا الخضراء، ثعابين البايتون والبوا العاصرة لشمال أفريقيا، وكافة الحيوانات الأليفة التي نمت لتصبح كبيرة جداً- بطول يصل إلى 20 قدماً وبوزن يصل إلى 400 رطل- تكون اما هربت، أو أهملت، او أطلق سراحها من جانب أصحابها في ميامي. تسكن الآن عشرات الآلاف من الزواحف الضخمة منطقة ايفرغليدز، وتتكاثر بسرعة، وتنذر السلطات بينما يواجهون التماسيح الأميركية المحلية.

رمل أحمر، تغترفه إلى الأعلى رياح الصحراء البرية الأفريقية، تلتقطه تيارات الهواء التي تنساب إلى الغرب. أعاصير رملية هائلة، غيوم ضخمة من الغبار الأحمر، بعرض يتراوح بين 500 وألف ميل، تدور عابرة الأطلسي نحو جنوب فلوريدا. يستفيق سكان ميامي ليجدوا ان سياراتهم قد اكتست بالغبار. تتحول السماء إلى لون الحليب مع سديم يميل إلى اللون الأبيض وخلال الليل يتدلى القمر منتفخاً ومنخفضاً، كدولار فضّي منذر بالشر يلوثه غبار الصحراء. بعد الأعاصير الرملية، وخمود الحرائق الهوجاء السنوية التي تحصل في الأفرغليدز، تبدو سماء الليل الواسعة قريبة وكأن لمسها ممكن، ساخنة وبراقة بحيث ان مراقب حركة الطيران في مطار ميامي الدولي سمح في إحدى المرات لكوكب الزهرة بالهبوط.

ومن كان يظن ان الطالبة العاصية، الشابة التي تُركت في المركز الخاطئ، سوف تكتب الآلاف من القصص الإخبارية، 17 كتاباً، وتفوز بجائزة بيولتزر. لن يصدق أي أحد من الذين عرفوها في نيوجيرسي ذلك. ولا شيء من هذا كان من الممكن ان يحصل، او قد حصل في أي مكان آخر. إن لميامي ذاكرة قصيرة. فلا يهم

أعلاه: في ليتل هافانا. سيدتان تعملان في لف السيجار تغلفان السيجار بورق اللف الخارجي.

في الوسط: الفواكه والخضروات تباع من شاحنة تعود إلى واحد من العديد من المهاجرين الكوبيين إلى ميامي.

فوق: في منتزه دومينو في ليتل هافانا في ميامي. نشاهد لعبة تقليدية تساعد في تمضية الوقت.

أعلاه: تمساح يسبح في مياه متنزه إيفرغليدز القومي.

فوق: الطريق الدائري الذي يبلغ طوله قرابة 40 كيلومترا يمر عبر المحمية القومية لشجر السرو الكبيرة حيث يمكن مشاهدة النباتات والطيور المحلية.

من أين أتيت، ما هي إنجازاتك السابقة او عدم وجود إنجازات سابقة لك أبداً.

ميامي هي مكان يكون فيه كل شيء ممكنا.

في بعض الأحيان أسبح في بركتي في أول المساء الرطب والناعم، واضحك وانا أراقب الغيوم الوردية والذهبية فوق الجبال، كتلك التي رسمها أساتذة الفن القدامى وهي تندفع في سماء بلون الياقوت الأزرق بينما يسطع ضوء النيون الوردي للشاطئ الجنوبي بإغراء عبر الخليج.

ان قصة حبي التي دامت أطول مدة هي مع ميامي، وكافة سكانها الحاليين وسكانها المحتملين، الأحياء منهم والأموات، من الرواد الشجعان الذين تحملوا المشقات والأحزان الشديدة للاستيطان في هذه المنطقة الحدودية شبه الاستوائية الجامحة الواقعة في اسفل الخريطة، إلى سكان ميامي اليوم، الأشداء، المتنوعين، والصامدين الذين يتجاهلون بثبات أضواء حركة السير الحمراء وواقع كونهم يعيشون في نهاية شبه جزيرة على مستوى مياه البحر تنتأ في امتداد خطير وهائج من البحر يعرف باسم "ممر الأعاصير".

لقد أكرمتنا أمنا الطبيعة بطرق عديدة ولكن يمكنها ان تكون قاتلة أيضاً، مع الأعاصير، والزوابع، وتدفقات المياه، وصواعق البرق المتكررة اكثر من أي مكان آخر في البلاد.

يمكنك دائماً ان تجرب مغادرة ميامي ولكنها لن تتركك أبداً؛ فهي تتعلق بك طوال حياتك.

نیو اورلینز

عندما نحدق النظر بنيو أورلينز

كريستينا فورد

كريستينا فورد هي رئيسة هيئة موظفي المرافق والبنية التحتية وتنمية المجتمع الأهلي لمدينة نيو أورلينز والمديرة السابقة للتنظيم المدني في المدينة. وهي مؤلفة الكتاب الذي نشر مؤخراً وعنوانه "المشاكل مع التنظيم المدني" (يال). ريتشارد فورد هو روائي، وكاتب قصص ومقالات. ترجمت أعماله إلى 28 لغة ونال جائزة بولتزر للأعمال الروائية عن كتابه "يوم الاستقلال."

إن رؤية نيو أورلينز بوضوح في هذه الأيام، أصبحت أصعب مما كانت عليه. ولكن لم يكن من السهل أبداً من قبل الحصول على قراءة يمكن الاعتماد عليها حول المكان. كان هذا دائماً سبب جاذبيتها –بالنسبة للعالم القادم من بعيد، كما بالنسبة لمواطنيها أيضاً. يمكن ان تصبح نيو أورلينز، ولو لوقت قصير، أي مكان جيد تريدها ان تكونه، مع إبقاء أجزائها الأخرى مُغطاة (وليس دائماً بطريقة مرتبة) وبعيدة عن الأنظار. كانت نيو أورلينز مدينة ملائمة، مدينة أماكن السكن الخاصة والمتغيرة – مدينة الأسطح- التي يوجد تحتها او بجانبها نسخ مختلفة منها لسنا بحاجة للانتباه إليها، ولكنها مع هذا تُشكِّل جزءاً مما كانت عليه تلك المدينة. وكان الكل فيها دائماً صعب الاستيعاب.

لقد زرت مدناً أخرى – مدناً أكبر، وأكثر فخامة، وأقوى، وتقع في منطقة مركزية بالنسبة لخرائط وثقافات بلادها. غير ان نيو أورلينز تأتي في طليعة جميع هذه المدن لكونها الموضوع الدائم في الخطاب اليومي لمواطنيها واهتماماتهم. وبالنسبة للزائرين، كذلك. فالناس لا يستطيعون بكل بساطة الحصول على ما يكفي من نيو أورلينز، وهي طريقة أخرى للقول إن المدينة تراوغنا. لو استمعنا لكل ما يُقال هناك طيلة سنة واحدة من الزمن، لكان عدد كلمات "نيو أورلينز" يتجاوز جميع الكلمات الأخرى بمئات المرات. نيو أورلينز تسحر. الذين من بيننا يهتمون يسعون دائماً إليها، لتفحص اسطحها، نرفع حوافها، نغامر بالاقتراب أكثر منها، نقلبها بشكل مائل لنرى أكثر منها، نتعلم أكثر، بينما ننكر أقل ما يمكننا إنكاره. نيو أورلينز هي رمز مقدس نتردد إليه بسبب الحنين الذي لا نستطيع تفسيره.

بالطبع، ان التعميم حول طابع أي مدينة لا يصفها جيداً. الأسماء المستعارة والشعارات تسقط أمام الاستثناءات. "مدينة ذات أكتاف عريضة"، "مدينة لا تخذلك أبداً"، "مدينة الملائكة"، "مدينة الحب الأخوي"، كل هذه الألقاب لها علاقة بحاجات المشاهد أكثر مما لها علاقة بطبيعة المدينة الحقيقية وقدرتها على الارتقاء إلى المستوى اللازم. أوه، نعم، في نيو أورلينز، هناك تساهل عام يغري الغرباء للمجيء إليها والقيام بأشياء لا يقومون بها في ديارهم. في هذه الطريقة، تكون نيو أورلينز "المدينة التي نسيتها العناية". ولكن، في أميركا، كانت المدن تعد دائماً بالتساهل – بالنسبة للريفيين السذج والمشاركين في المؤتمرات الذين يترددون على الكنائس والمنعزلين الذين ينساقون إلى المدينة الحضرية الكبرى من مساحات الداخل. الأمر نفسه يحصل في أوروبا، وربما في الصين وكينيا كذلك. لقد كانت المدينة مبهرة في غليانها دائماً.

سياح يتمتعون بركوب عربة يجرها حصان في الحي الفرنسي.

في الصفحة المقابلة: كاتدرائية سانت لويس تهيمن على ساحة جاكسون.

ومع هذا، بإمكاني الإدعاء بأن لي رؤية واضحة بمجرد القول ماذا أحب في نيو أورلينز. أحب مظهرها الأوروبي الزائف، ووقاحتها لمرة واحدة بالنسبة لما أصبح عتيقاً، ولنموذجها الأميركي – الحضري. (كانزاس سيتي، أوماها، سانت لويس،

دالاس، أتلانتا). أحب وضعها الدراماتيكي وغير المؤكد على سطح الأرض – أرض بلا أمل، ارض منخفضة بين نهر وبحيرة – الأمر الذي يجعل العيش هناك يبدو وكأنه محفوف بالمخاطر. أحب موقعها على خريطتنا الأميركية – حفرة يتقطر فيها ويكشف عن نفسه جزء كبير من كل ما هو أميركي. أحبُ تشكيلة الثقافات التي تجعلني أبدو غير مرئي بطريقة محببة. أحب الشعور بالتحرر المؤلف من السبات والركود، الذي يشجع بصورة لا تفسير لها روح المبادرة، في نفسي أنا. على الأقل. أحب شعور المدينة المعقد بتاريخها، الذي يعطيها في نظري كامل حريتها من تاريخها. وحتى أحب نظرة نيو أورلينز الخانقة إلى نفسها التي لا تفرض علي كثيراً، في نهاية المطاف، الطريقة التي يجب ان أنظر فيها إليها، وتسبب لي (ليس بشكل جدي جداً أو لمدة طويلة) الشعور بأنني متمرد. وأحب واقع كون التفكير حول نيو أورلينز – السعي إليها، وفتحها، والتفرّس بها، يدعو ذهني عملياً إلى التطلع إلى كل أميركا، وكيف انها تختلف عن نيو أورلينز وكيف تشبهها، ولماذا. ان هذا مشابه للطريقة التي يرى بها السياح أميركا بصورة أكثر حيوية عندما يكونون في الخارج. نيو أورلينز هي بلدنا الأجنبي الخاص، لكن حيث نتحدث لغتها.

إن الذي حصل، بالطبع، والذي جعل رؤية كل شيء أصعب، هو إعصار كاترينا – قبل أكثر من خمس سنوات خلفنا، ولكن بصورتها الخارقة للطبيعة والعديمة الشفقة أصبحت الحاضر لكل شيء. كتب اميرسون "أي أفيون هو المغروس في كل الكوارث". إنها تظهر بشكل هائل كلما اقتربنا منها، لكن في نهاية المطاف لا يوجد احتكاك خشن مثير، بل أسطح هي الأكثر مراوغة". ان ما عناه إميرسون هو ان الكارثة تهدئنا، وتجعلنا نفكر اننا نفهم ونرى بوضوح ما لا نفهمه ولا نراه. الكارثة تُنفّذ هدفها وتكون بنفسها غامضة. الكارثة هي التي جعلت من الأصعب رؤية نيو أورلينز.

ما بعد إعصار كاترينا، أصبحت اللغة نفسها شيئاً أساسياً غير واضح (اننا نرى أحياناً كثيرة بواسطة الكلمات). نيو أورلينز، خاصة بالنسبة للذين هم من خارج

أعلاه: صورة جوية لجسر نيو أورلينز الجديد.

فوق: على مسافة طويلة من الطريق خارج نيو أورلينز. يمر نهر الميسيسيبي في قناة بين مسارات حركة السير.

في الأعلى من اليسار: في نيو أورلينز ما قبل إعصار كاترينا. كانت حركة السير تمر في وقت متأخر بعد الظهر بجانب مرفق لويزيانا سوبر دوم الرياضي.

في الأعلى إلى اليمين: الأشغال الحديدية المثقوبة تجمل شرفات الحي الفرنسي في نيو أورلينز.

فوق إلى اليسار: منظر جوي للمستنقعات على نهر المسيسبي خارج نيو أورلينز.

فوق الى اليمين: ترام تقليدي يخدم جادة سانت شارلز في نيو أورلينز.

المدينة – (علماً ان الذين من الداخل يكافحون أيضاً) – باتت الآن تعني (إعصار) كاترينا، بينما كانت نيو أورلينز في السابق تعني أشياء أخرى – كل تلك الصفات التي وصفتها. انها نفس الطريقة التي تقول ان مدينة "ديترويت" تعني صناعة مستنفدة، أو "واشنطن" مرادفة للحكومة العاجزة. انها كنايتنا الحزينة. لقد أصبحت كاترينا، في الوقت الحاضر، على أي حال، علامة تجارية تدميرية. انها تلطخ كل شيء في المدينة – الكلمات، الأفكار، الإمكانات، الماضي، المستقبل. عندما نقول "نيو أورلينز" – وهو دائماً تعبير غني بالتعقيد والمعاني الدقيقة، وبالحقائق الجزئية التي ترفّ لها العين – فاننا الآن، شِئنا أم أبينا، نستدعي مجموعة أوسع، من الصور الذهنية، وهي أقل وضوحاً، وأكثر إذهالاً: الإعصار، كل هؤلاء الناس على السطوح - أو العائمون فوق المياه، البيوت المحطمة، الشوارع الخالية، التيار اللامع للمياه السامة، السياسيون المبتسمون بتكلّف، الناس الذين يقومون بدوريات في الشوارع حاملين السلاح، البشر الذين ينقذون البشر الآخرين. الذي فُقد، أو الذي بالكاد على قيد الحياة، أو يستمر رغم كل شيء، يجب ان يتلاءم الآن مع كل ما كان من قبل لتشكيل حاضرنا. إذا كانت نيو أورلينز في السابق مدينة الابتسامة العريضة، والتربيت على الظهر، والمفارقات الثملة ومضايقة الأصوات المتنافرة (كانت غنية، كانت فقيرة، كانت الجنوب – إلاّ انها لم تكن، فعلاً؛ كانت سوداء، كانت بيضاء، كانت ما بينهما، كانت فرنسية، إسبانية، كاجن، كريول، هندية، أميركية)، انها الآن مدينة محطمة وكاملة في نفس الوقت! من الصعب العثور على شعار أو لقب لجعل

فوق إلى اليسار: عمال يعيدون بناء بيت من طراز الكريول يعود بناؤه إلى القرن التاسع عشر في الجناح التاسع السفلي من نيو أورلينز. وهي منطقة تضررت بشدة جراء إعصار كاترينا عام 2005.

فوق في الوسط: الرئيس الهندي لاحتفال الماردي غرا والتر كوك يشارك في جنازة على أنغام موسيقى الجاز ويرتدي ملابس مزينة بالريش والخرز.

فوق: شاب في زي مصارع ثيران أسباني يقف أمام الكاميرا في الحي الفرنسي في نيو أورلينز.

تلك الصورة الكاملة واضحة.

خلال هذا الخريف، في النسيم الحار على طول شارع رويال ستريت وصعوداً إلى بريتانيا، خارج سانت كلود إلى خط الأبرشية، وعلى طول حقول إليزيان إلى البحيرة، يسمع المرء كلمات حافلة بالأمل: ''اننا عائدون''، ''لقد رجعنا''، ''هل سنعود يوماً؟'' ''هل يمكن ان تعود نيو أورلينز كما كانت؟'' هذه كلمات من الممكن ان نتوقع سماعها من أهالي نيو أورلينز – مواطنون يعشقون مدينتهم، تعودوا على إحداق النظر بها بذهول، عبر شاشة. نيو أورلينز مدينة للمحافظة. انها تعانق وتطالب بالعناق، وتتمسك قدر ما تستطيع، تماماً كما تتمسك بمكانها غير المستقر على أرضها التي تغرق. ''العودة'' هي مُجرّد طريقة لتسجيل الخسارة واسترجاع المفقود. مما يعني، بعبارات عملية، انه حتى أحد سكان نيو أورلينز الذي يكره ظروفه، يفضل ان يكرهها في نيو أورلينز وليس في أي مكان آخر. فإذا تركنا الإيمان بالقضاء والقدر جانباً، فان هذه ليست أسوأ صفة يمكن لمدينة ان تملكها.

وحتى مع هذا، نرتكب إساءة بحق نيو أورلينز إذا نحن قلنا بطريقة إرشادية بأننا نعرفها، أو حتى اننا نتقاسم مع بعضنا البعض شعوراً بصفتها الفريدة. انها مدينة صغيرة بعض الشيء

عظماء موسيقيون يؤدون في نيو أورلينز في مهرجان موسيقى الجاز والتراث: من اليسار إلى اليمين: وارن بريجيان سينيور، كب 'مو'، روجر لويس، ودكتور جون.

(أصغر الآن مع كلٍ من خسرته ومن انتقل). قد يكون ان توكيداتنا حول طبيعتها تتداخل وتتزاحم معاً، وتبدو أصدق مما هي. غير ان الكارثة لها عواقب تجعلنا ننظر عن كثب أكثر، ونتساءل ما هي عملياً أية مدينة. وما هي الفوائد التي تقدمها. ما هو الشيء الجيد الذي تفعله. وما هو السيئ. تُقدم المدن مجموعات من المفردات المختلفة لاستثماراتها في حياة مواطنيها. لكن الهالة الأسطورية تندثر مع الزمن. والاستثمار يبقى هو نفسه، من مدينة لمدينة: اننا نريد ان نعمل الشيء التالي الأفضل.

وحده السياسي الذي يجد في ذلك مكسباً يجرؤ على تقديم النصح لمدينة بكاملها – خصوصاً مدينة مشهورة بعدم المبالاة أبداً حتى بالنصيحة الجيدة، مدينة حيث الشعور بالكوارث (تذكرها، الابتسام بوجهها، السعي إلى الحظوة برعايتها) كان دائماً أمراً مألوفاً. وهكذا، لا أنوي تقديم النصائح. لكن أفضل رهان لدي هو ان مجموعة المفردات المدنية في نيو أورلينز سوف تتغير عما قريب – هذا إن لم تكن قد تغيّرت بعد. "الأمور تسير" سوف تحل قريباً مكان "عائدون"، طالما انه لا عودة على كل حال. ما من أحد بوسعه ان يوافق على ما تعني كلمة "العودة"، أو كيف تبدو، أو مَن المستفيد. تصبح "العودة" مُجرّد وهم آخر مصممة وفقاً لحاجاتنا المنفصلة. "الأمور تسير"، سوف ينظر إليها في يوم قريب كصيغة لما كان يجب، ولما كان يمكن، ولما كان سيحصل، على أي حال، وحتى لو لم تكن هناك عاصفة رهيبة.

عندما نحدق النظر بنيو أورلينز، وبمفارقاتها، وعندما نسمع تنافر الأصوات فيها، فان ما نصبو إليه هو ان نفهم، وان نجعل كافة هذه القطع المتناثرة تتوافق معاً. اننا نفعل ذلك بقدر ما نكشف عن شذوذها وعنادها. اننا، في الجوهر، نحاول حل أحجية ما هو طبيعي. هل هذا طبيعي؟ هل هذا صحيح؟ هل أشعر انني طبيعي؟ هل أنا في حال جيدة؟ هكذا يقيس أي مواطن الحياة في أي مدينة. وفي نيو أورلينز، سيكون الجواب، في نهاية المطاف، نعم.

فوق إلى اليسار: مراسم الدفن لضحايا إعصار كاترينا ترافقها فرقة لموسيقى الجاز التقليدية.

في الأعلى من اليمين: حشود تملأ شوارع الحي الفرنسي في نيو أورلينز خلال احتفال ماردي غرا للعام 2009.

فوق: شارع بوربون ليلا في الحي الفرنسي، في نيو أورلينز.

إبن بروكلين

كل كاتب يبدأ حياته المهنية كقارئ، وقد كان لي حظ عظيم جداً في أن أكون قارئاً منذ وقت لا تدركه الذاكرة. لم يظهر إدراك حسّي مفاجئ في الصف المدرسي، ولم تكن توجد لحظة اختراق يمكنني خلالها من ان أحل شيفرة تلك الرموز الصغيرة التي تسمى أحرفا لأجعل منها كلمات، وأجعل الكلمات تُشكِّل صوراً في ذهني. وعنى ذلك، بالتأكيد تقريباً، ان والدتي علمتني القراءة.

كان والدي ووالدتي مهاجرين إلى نيويورك قادمين من أيرلندا الشمالية، كاثوليكيين من بلفاست المدينة الصناعية القاسية المظلمة. جاءا منفصلين واستقرا في المنطقة الجميلة الهائلة بروكلين. كانت بروكلين في تلك الأيام مكاناً يعيش فيه موظفو المكاتب، والمهاجرون وأولادهم الذين كانوا يعملون في تجارة الميناء.

مكّنتهم القطارات من العمل في مكان والعيش في مكان آخر، ولكن كانت بروكلين مكاناً خاصاً: مغمورة كما فكرت لاحقاً على انه كان ضوء الرسام الهولندي فيرمير. حتى العمارات السكنية الفقيرة بدت جميلة في ساعات معينة من المساء أو عند الفجر. في مدينة نيويورك، تشرق الشمس من بروكلين، معلنة بدء النهار ولا عجب ان أحبها الهولنديون إلى هذه الدرجة.

لم تكن الحياة سهلة على بيلي هاميل وزوجته آن ديفلين. هناك في البلاد القديمة، كان والدي قد أكمل الصف الثامن. وأكملت والدتي ما يعادل الشهادة الثانوية، ولكنها عندما قدمت إلى أميركا في سن 19، كيتيمة، وصلت في عام 1929 بتوقيت أيرلندي مثالي في يوم انهيار سوق الأسهم المالية.

وفي عام 1927 كان والدي يلعب يوم أحد في مباراة كرة قدم شبه احترافية عندما رفسه أحد اللاعبين بشراسة ونقل إلى المستشفى وأمضى الليل هادئاً بفعل عقار مسكن وفي الصباح تمددت الغرغرينا في ساقه المدمرة (لم يكن البنسلين قد اكتشف في ذلك الوقت)، وفقد ساقه من فوق الركبة.

عملت والدتي في متجر كبير للبيع بالتجزئة ومن ثم كمساعدة منزلية، تعتني بالطفل الصغير لعائلة ثرية في بروكلين. تقابل الاثنان في حفلة راقصة عام 1934 وهو واقع جعل والدي يضحك بعد سنوات عندما يتذكر، لان لا أحد كان يستطيع الرقص كثيراً بساق خشبية. كنت أول طفل أميركي لهما وسوف يكون هناك سبعة آخرون حين تشكلت العائلة بالكامل.

ذلك عنى بالتأكيد انه توفر الوقت لآن ديفلين لتجلس وحيدة معي وتطلعني على كتاب، وتقرأه لي بينما أحد أصابع يدها يتابع الكلمات.

بت هاميل

بت هاميل روائي وصحفي وكاتب مقالات أدبية. وهو مؤلف 10 روايات، بالإضافة إلى سير ذاتية، ومذكرات، ومجموعات من القصص القصيرة والأعمال الصحفية. انه كاتب مميز مقيم في جامعة نيويورك. نشرت أعماله الصحفية في مجلة نيو يوركر، وصحيفة نيويورك تايمز، ومجلتي اسكواير وفانيتي فير، وكان لسنوات عديدة كاتب عمود في صحيفتي نيويورك دايلي نيوز وصحيفة نيويورك بوست. كما عمل كرئيس تحرير لصحيفتي نيوز وبوست. يعيش مع زوجته في مدينة نيويورك.

منظر طويل لجسر مانهاتن، الذي يربط مانهاتن السفلى مع بروكلين.

الصفحة المقابلة: تمثال الحرية هو منارة للمسافرين القادمين إلى مدينة نيويورك.

من الكتب المفضلة لدي كان "حديقة أشعار طفل" للشاعر روبرت لويس ستيفنسون، ولا شك اني أحببت إيقاعات الكلمات والرسوم وطريقة توحدها لتصنع عالما طفوليا مضيئا. كانت الأشعار بطريقة ما تشبه الأغاني الأيرلندية التي كان والدي يدندن بها عند وصول أصدقاء أو جيران إلى شقتنا. أغان مع قصص. امتلأ بعضها بقصص أبطال شهداء. وكان معظمها حافلاً بالتحدي والضحك.

عشنا في بروكلين خلال سنوات عديدة من طفولتي في مبنى سكني فقير، في شقة قريبة من سكة الحديد مجهزه بالمياه الباردة. ولدت عام 1935 في عمق فترة الكساد الكبير ولكنني لا احتفظ بأي ذكريات حول مشقات وحشية.

كان يوجد طعام دائماً على المائدة. وكان لي العديد من الأصدقاء من المباني المجاورة او من المدرسة. تعلمت لعبة الشارع المعروفة بكرة القضيب التي تمارس بمقبض مكنسة وكرة مطاطية وردية اللون تسمى "سبالدين" (تحريف لاسم صانعها الذي كان سبالدنغ).

في الساعات الصباحية لبعض أيام السبت كنا نبدأ اللعب عند الثامنة مع انهمار أشعة الشمس فوق رؤوسنا من بروسبكت بارك ونستمر في اللعب حتى الغسق. لم يكن يوجد جهاز تلفزيون في ذلك الوقت ولكن في الأيام الممطرة كنا نمارس تسليات أخرى. كان رسم الدخول إلى دار السينما صباح السبت 12 سنتاً حتى الظهر وكنا نهتف لرعاة البقر ونندهش للمناظر الطبيعية للغرب الأميركي.

في منتصف سنوات الحرب، اكتشفت الكتب الهزلية وأحببت كتاب "باتمان" لأن بلدته غوتهام تشبه بروكلين التي أعيش فيها مع ظلالها العميقة، ومستودعاتها المخيفة، وأزقتها المشؤومة المرصوفة بالحصى. ولكن ما هو افضل، أحببت قصراً حجرياً هائلاً (في عيني) من الأعاجيب يبعد مسافة ثلاثة شوارع عن منزلنا: فرع بروسبكت للمكتبة العامة في بروكلين.

ومرة أخرى، اصطحبتني والدتي إلى هناك للمرة الأولى، والثانية، وعلى الأرجح للمرة العاشرة. أطلعتني على غرفة الأطفال بموقدها المحفور الضخم وتأكدت من حصولي على بطاقة المكتبة وشرحت لي النظام الألفبائي وأطلقتني في الحياة ككاتب. دهشت عندما علمت ان باستطاعتي ان آخذ إلى المنزل كتباً كانت معروضة على تلك الرفوف السفلية.

التهمت كتب بابار، وكنت أحب لو أني أستطيع ان أقابل فيلاً يرتدي بزة خضراء وان اذهب معه إلى مدينة تسمى باريس. مدينة لا تبدو انها تشبه على الإطلاق بروكلين.

عندما أصبحت في الصف الثالث، كنت أزور المكتبة لوحدي (كان يعتبر معيباً ان تحتاج إلى والدتك لاصطحابك إلى أي مكان، وخاصة إلى المدرسة). لم اعرف إلا بعد عقود فيما بعد بأن المكتبة بناها هناك رجلي الثري المفضل، اندرو كارنيغي. في نفس الوقت أمرتنا معلمتنا في المدرسة الابتدائية (كان اسمها الآنسة سميث) جميعاً بأن ننسخ خرائط الحرب من صفحات صحيفة نيويورك دايلي نيوز (سعر النسخة سنتان).

إلى اليمين: مبنى إمباير ستيت يهيمن على أفق مدينة نيويورك في هذا المشهد باتجاه الجنوب.

فوق: هذا المشهد الجوي باتجاه وسط المدينة. يظهر مانهاتن السفلى.

في الأعلى: وصل حوالى 16 مليون نسمة عبر جزيرة إليس بين العامين 1892 و1924 عندما كانت أفواج المهاجرين تجري مقابلات للدخول إلى الولايات المتحدة.

فوق: جزيرة إيليس. التي أصبحت الآن نصباً تذكارياً قومياً. يزورها السياح الذين يصلون بالعبّارات.

تعلمت من ذلك الواجب المدرسي أين تقع شمال أفريقيا، وأين توجد فرنسا، وألمانيا، وإنجلترا، وإيطاليا، وبالطبع أيرلندا.

أدركت كم هو واسع المحيط الهادئ وأين تقع غوادالكانال وميدواي واليابان أيضاً. ذكرتنا المعلمة ان العديد من الشبان في حيّنا كانوا في تلك الأماكن، وانه عندما نرى نجماً ذهبياً معلقاً على نافذة يعني ذلك ان أحدهما قتل. عند نهاية الحرب كانت نجوم ذهبية منتشرة في كل مكان في الحي وعدد اكبر بكثير منها عبر البلاد.

بعد أن أكملنا نسخ الخرائط، طلبت منا أن نبدأ بقراءة الروايات أيضاً. ومن ثم ان نطوف على بيوت جيراننا ونحصل منهم على عناوين الرجال الذين ذهبوا إلى الحرب. ومن ثم كتبنا إليهم رسائل، حتى ولو لم نكن نعرفهم، لنشكرهم على كل ما كانوا يقومون به لإبقائنا أحراراً.

كانت كلمة "حر" متداولة بين الناس. كنت أسمع أصدقاء والدي يتناقشون حول شيء، وحتى ان واحداً غير موافق كان يقول: "اسمعوا انها بلاد حرة". كان ذلك يبدو انه يعني الكثير بالنسبة لهم وبعد فترة أدركت ان معظمهم جاء من بلاد لم تكن حرة. أماكن عانوا فيها بسبب دينهم. أماكن لا تستطيع فيها قول ما يتوجب عليك ان تقوله. كما قالوا، بدون ان تسمع قرعاً على بابك في منتصف الليل.

كانت والدتي ووالدي يقولان دائماً ما يتوجب عليهما قوله. كان ذلك غير ممكن في بلفاست المتزمتة، وفي أميركا لم يرفع والدي صوته أبداً. تعرفت على الأسلوب الذكوري لأيرلندا الشمالية بعد عقود من خلال عنوان قصيدة نظمها الشاعر سياموس هيني الحائز على جائزة نوبل: مهما كان الشيء الذي تقوله، لا تقل شيئاً". في أميركا كانوا يستطيعون قول كل شيء يريدون قوله ولم يكونوا بحاجة إلى الصراخ.

أعلاه: منظر لوسط بروكلين وتظهر المباني العالية البعيدة.

فوق: أم شابة تظهر صورتها مؤطرة بجسر بروكلين. تأخذ ابنها إلى المدرسة على مزلقة بعد تساقط نسبة قياسية من الثلوج.

جميع هذه الأرواح الحرة، عمال المصانع هؤلاء، رجال الإطفاء، عمال الحديد، عمال أرصفة التحميل الضخمة علموني أشياء كثيرة معظمها بقي حيا في كتاباتي. تستطيع ان تكون قاسياً بدون ان تكون لئيماً. إذا بحثت عن المشاكل تستطيع ان تجدها بسهولة والشيء الأكثر أهمية في الحياة هو العمل.والخطيئة التي لا تغتفر (بعد القسوة) هي إشفاق الإنسان على نفسه.

عاش والدي حتى سن الثمانين وسمعته فقط يتأسف مرة واحدة على ساقه فقط. عملت والدتي أيضاً وكان عليها القيام بذلك من أجل تربية عائلة كبيرة خلال الأوقات الشحيحة. لم يتوفر لأي واحد منهما الوقت للإشفاق على النفس فقد كانا مشغولين جداً. وعملا إلى ان لم يتمكنا من العمل.

خلال هذا الوقت، وقبل انتهاء الحرب كنت أطالع صفحات الأخبار الرياضية في الصحف أيضاً. والقصص المصورة في ذلك الوقت: "ديك تراسي"، "سمايلنغ جاك" وقبل كل شيء آخر "تيري والقراصنة" الذي كان المفضل لوالدتي وكنت في كل يوم أقص القصة المصورة من الصحيفة وألصقها في كراسة خاصة بها.

لم اكن افهم جيداً القصة المصورة لأن مؤلفها الاستثنائي ميلتون كانيف كان يكتب ويرسم "للشخص الذي اشترى الصحيفة". ولكني بدأت استنشق بعض المبادئ الأساسية للفن القصصي: هذا حصل وهذا حصل، وكانت النتيجة ان هذا حصل.

كنت أجيد الرسم بدرجة مكنتني من استنساخ صور الأشرار العظماء من قصة ديك تراسي وارسم نسخة معقولة لمواد دسمة من قصة سمايلنغ جاك. ولكني لم أتمكن أبداً من رسم دراغون لايدي ولكن في حوالي نفس الوقت، حصل حدث مهم آخر. قرأت كتاباً كان نصاً بالكامل خاليا من الرسوم ووصلت إلى نهايته.

لم يكن الكتاب من المكتبة بل من صندوق موضوع في متجر للكتب الهزلية المستعملة الذي يبعد مسافة بضع مجموعات من المباني عن المكان الذي أعيش فيه. كان اسم الكتاب "بومبا، ولد الغابة عند الشلال العملاق".وجرفني الكتاب إلى غابة الأمازون حيث نجا صبي من عمري، من حادث تحطم طائرة، يبحث عن والده المفقود.

خلال السنوات التي تلت الحرب بدأت اشتري كل نسخة من هذه السلسلة بثمن 10 سنتات عادة لانتقل بعقلي إلى أماكن غريبة او أواجه فيها مخاطر هائلة. لا يزال أكثر من عشرة كتب مكدسة على رفوف مكتبي حتى هذا اليوم. الكتابة عنصرية أحياناً. (بومبا. كان يعرف ان الدم الأبيض يسري في عروقه) ولكني لم ألاحظ ذلك في ذلك الوقت. أردت فقط ان أعرف ماذا حدث بعد ذلك.

وفي المكتبة كنت قد تجاوزت كثيراً بابار. وجدت طريقي إلى "كتاب القراصنة" لهوارد بايل، الممتلئ بالرسوم الغضة، الكنوز المسروقة، "مبارزات بالسيف على متن قوادس (سفن شراعية حربية) - وفي الأعلى كانت مؤلفات روبرت لويس ستيفنسون والكسندر دوماس.

لم يكن يوجد أبداً المال الكافي في شقتنا ولكني عشت طفولة وحياة مراهقة ثرية بدرجة مدهشة. أبحرت إلى جزيرة الكنز مع جيم هاوكنز. وحاربت عملاء

في الأعلى: مباني من الحجر البني المتعدد الألوان على طول متنزه بروكلين في نيويورك توفر للحي الشعور بأنها بلدة صغيرة.

فوق: زوار أسترولاند يستمتعون بدورة على الدولاب الدوار في كوني أيلاند. مدينة الملاهي في بروكلين. نيويورك.

زوجان يتمتعان بركوب عربة تجرها الخيول عبر سنترال بارك في نيويورك. أول متنزه حضري أخضر في الولايات المتحدة.

مايلادي بجانب دارتانيان. أمضيت فصل صيف بكامله كما فعل الكونت دي مونتي كريستو.

كانت الروايات الهزلية الكلاسيكية بالنسبة لي "مذكرات كليف" ما عدا انها خدمت كدليل قراءة اكثر من صفحات احتيال، تحث على البحث في المكتبة عن الكتب الفعلية. لم انظر فقط إلى تلك الكتب بل دخلت فيها، عشت فيها.

بعد انقضاء سنوات، قرأت مقالاً كتبه ستيفنسون حث فيه الكتّاب الطموحين على أن يقرأوا مثل المفترسين. أدركت اني كنت أقوم بذلك، قبل وقت طويل من بروز طموحي لأكون مؤلفاً. ولم أكن وحيداً. فبالنسبة للكتاب الطموحين، كما للقارئ الرصين تُشكّل المؤلفات الأدبية العظيمة الغذاء.

فهي تغذي الخيال، تثير الفضول حول حياة الآخرين، توضح انه يوجد عالم واسع يقع أبعد من حيزك الخاص. تطرح الكتب العظيمة أيضاً أسئلة ضمنية على القارئ يستطيع القارئ فقط ان يجيب عليها. أسئلة حول معنى حياتهم بالذات. حول الخيارات الأخلاقية التي سوف يواجهها كل واحد منا.

حول عواقب الخيارات والأعمال. وعندما بلغت الثانية عشرة أردت ان أكون فناناً هزلياً. وكلما قرأت عدداً أكبر من المؤلفات العظيمة في التاريخ والأدب كلما بدأ يخبو هذا الطموح.

والآن بعد ان كبرت في العمر، أتساءل أحياناً عما إذا كان من المحتمل ان أصبح كاتباً لو لم أكحل ناظري بالمشاهد الطبيعية الرائعة للغرب الأميركي، او في بلفاست المظلمة. انه سؤال لا أستطيع أبداً ان أجيب عليه على الأرجح.

لو كان لدي نفس الوالدين، لربما. ولكن كان لدي الحظ الجغرافي لكي أرتقي إلى الوعي في عالم بروكلين الكثيف الطبقات مع أسراره، تنوع أديانه، اثنياته ولغاته وأصول سلوكه.

كنت أستطيع أن أرى من سطح منزلنا أبراج مانهاتن وهي تناطح السحاب.

في الأعلى إلى اليسار: في ساحة تايم سكوير في نيويورك. حيث تحمل لوحات الإعلانات دعايات لمسرحيات برودواي.

أعلاه: استعراض يوم سانت باتريك في نيويورك يشارك فيه راقصون شباب يرتدون الأزياء الأيرلندية.

في الوسط: طلاب من تايوان يهتفون ترحيباً باحتفالات رأس السنة الجديدة في نيويورك في ساحة تايم سكوير.

فوق: خباز في متجر يبيع خبز البايغل في بروكلين يحضّر دفعة من خبز البايغل الخاص.

نسختي الخاصة من أوز. لا زلت أراها كإبن بروكلين. كان هناك عدد قليل من القديسين في شوارع بروكلين تلك، والكثير من الخطاة، ولكن الخطيئة كانت دائماً قصة أفضل. كما كان ذلك الوقت الذي سبق ظهور التلفزيون، وهو بطبيعته وسيلة سلبية. يمكنك ان تجلس قبالة الشاشة دون ان تقوم بأي عمل خيالي على الإطلاق.

تخبرك الموسيقى ماذا عليك أن تشعر. وتقود ضحكتك أشرطة الضحك. فالقراءة نشطة. وتتطلب انتباهاً إلى تلك الخربشات الصغيرة من الأحرف، المشكِّلة في كلمات، وتكتمل التجربة مع خيال القارئ الخاص.

تستطيع ان تجعلك ترى الشوارع في جزئك الخاص من العالم او تستطيع ان تنقلك إلى الشلال العملاق. فهي تذكرنا دائماً بأن علينا أولاً ان نفكر ومن ثم ان نعيش.

تأكد لي ذلك قبل حوالي 20 سنة. غطيت كمراسل صحفي أحداث سقوط النظام الشيوعي في براغ، ثورة مثيرة قادها مؤلف- وعندما تفاعلت هذه القصة الإخبارية الاستثنائية وذهب فاتسلاف هافل إلى القلعة غادرت انا وزوجتي بروكلين إلى برلين.

كان صباحاً كريهاً بصحبة المطر. اتفقت مع سائق سيارة لينقلنا إلى برلين الشرقية الستالينية واجتزنا بوابة برادنبورغ إلى أبشع مدينة في أوروبا. كنت هناك قبل 15 سنة وأصبحت الآن حتى أسوأ مما كانت عليه. كانت هندسة جنود الاضطهاد القسري منتشرة في كل مكان.

وصلنا إلى شارع رئيسي عريض وبعد بضع مجموعات مباني، شاهدنا إلى يسارنا صفاً طويلاً من الناس كانوا يرتدون معاطف سميكة، أربعة او خمسة على رصيف المشاة ويحمل العديد منهم مظلات.

"ما هذا؟" سألت السائق. "هل ينتظرون الطعام ام شيئا آخر؟"

"كلا، "أجابني بصوت عاطفي منخفض" اليوم هو اليوم الأول الذي جاءت فيه الكتب من الغرب". وكان علي ان أجاهد كيلا أذرف الدمع.

أعلاه: راقصان من مدينة نيويورك يؤديان عملاً للمهاجر الروسي ومصمم الرقص جورج بلانشاين. والذي أسس مدرسة الباليه الأميركية في مدينة نيويورك.

فوق: حافلة ركاب لمشاهدة معالم المدينة تسير بمحاذاة مسرح أبولو. وتنعطف عند التقاطع المعروف باسم الساحة الأفريقية في حي هارلم في نيويورك.

الرئيس

عاصمة لكاتب

للكتاب الأميركيين تاريخ طويل، وان كان متقطعاً، من "الدخول في الحكومة" لفترة معينة. فرانكلين بيرس، الرئيس الأميركي الرابع عشر المحدود النجاح عيَّن صديقه ناثانيال هوثورن قنصلاً أميركياً في ليفربول، كمكافأة لهوثورن لكتابته السيرة الذاتية لبيرس خلال الحملة الانتخابية. خدم الشاعر ارشيبالد ماكليش كأمين مكتبة الكونغرس خلال فترة "العهد الجديد" والحرب العالمية الثانية، وانتقل ارثر إم. شليزنجر الإبن من جامعة هارفارد إلى البيت الأبيض كمستشار للرئيس جون إف. كينيدي.

أنا لم أعمل على النطاق الكبير الذي فعله هؤلاء السادة، ولكني ككاتب أعيش في مدينة تسمى شركة واشنطن، دي سي، لا أستطيع أن أقول انني فوجئت كثيراً عندما وجدت نفسي أعمل ولو لفترة قصيرة نسبياً لدى هذه الشركة. خلال مهمتي كنائب رئيس مجلس إدارة المؤسسة القومية للعلوم الإنسانية، كنت أغادر منزلي في كل صباح متوجهاً إلى مبنى البريد القديم في واشنطن، الواقع في 1100 جادة بنسلفانيا، الذي بُني في التسعينيات من القرن التاسع عشر وأصبح الآن مقراً للمؤسسة القومية للعلوم الإنسانية والمؤسسة القومية لمساعدة الفنون.

مبنى البريد القديم هو عبارة عن صرح كبير وفخم له قناطر سميكة من الطراز الرومانتيكي وبرج ساعة رومانسي يستطيع المرء ان يشاهده من بعيد عبر نهر البوتوماك. أخشى بأني أحببت المبنى أكثر مما أحببت عملي، وحتى الآن أفتقد أحياناً مكتبي الكبير المصنوع وفق الطراز الفكتوري المتأخر في الطابق الخامس. الألواح الخشبية تمتد حتى منتصف جدران المبنى، وهناك نافذة قديمة الطراز بزجاج أبيض مُبرغل، مع مقبض من النحاس الأصفر الثقيل أضفى الحياة على بابه الخشبي، وعلم كبير خلف الطاولة أعطى لمسة هزلية أوبرالية لمسؤولياتي غير الملحة كثيراً على الإطلاق.

استطعت البقاء هناك لمدة تزيد قليلاً عن سنة واحدة، وهي مدة كافية كي أعرف ان الشاغل الأول لهذه الغرفة الضخمة كان المشرف العام على زيادة رسوم خدمات البريد الأميركية تحت إدارة الرئيس وليام ماكنلي. وما لا أعرفه عنه، انه قد يكون يتجه إلى منزله في كل ليلة، كما كنت أفعل، للعمل على روايته.

كانت واشنطن بالنسبة لي ليس عالما للعمل اليومي بقدر ما هي متنزه من الخيال. حصلت أحداث العديد من رواياتي وسط شوارع المدينة وتاريخها، الأمر الذي كان دائماً يُشكِّل مسألة محلية فضلاً عن كونها قومية. كان اغتيال ابراهام لنكولن كارثة أميركية، ولكنها كانت أيضاً مسألة شخصية للرائد هنري راثبون والآنسة كلارا هاريس، الثنائيين المخطوبين اللذين تشاطرا المقصورة في مسرح فورد مع الرئيس وماري لنكولن في 14 نيسان/أبريل 1865. وجود هنري وكلارا عند

توماس مالون

كتب توماس مالون سبع روايات أشهرها هنري وكلارا، باندبوكس ورفاق السفر (فلو ترافلرز). بالإضافة إلى كتب غير روائية حول المذكرات الشخصية، والانتحال الأدبي، والرسائل. تنشر أعماله في مجلة ذي نيو يوركر، وفي المجلة الشهرية ذي أتلانتيك منثلي، وفي قسم مراجعة الكتب في صحيفة نيويورك تايمز ومنشورات أخرى، وهو حالياً مدير برنامج الكتابة الخلاّقة في جامعة جورج واشنطن.

مبنى الكابيتول الأميركي في واشنطن، العاصمة، ويتميز بقبة مركزية فوق مبنى مستدير وجناحين.

الصفحة المقابلة: البيت الأبيض، منزل 45 رئيساً أميركياً وعائلاتهم.

حصول الاغتيال ألقى الظلال على حياتهما الزوجية بكاملها لاحقاً والتي انتهت في عام 1883 بحادث قتل آخر- قتل كلارا على يد زوجها. امضيا معظم سنوات حياتهما غير السعيدة سوية في ساحة لافاييت، بالقرب من موقع منه سيصبح، في أواخر القرن التاسع عشر، منزلاً أيضاً لكل من هنري أدامز، أحد المراقبين ذوي الانتقاد اللاذع في المدينة، وجون هاي، وهو رجل آخر له توجّه أدبي وصل إلى الحكومة وخرج منها، مرة كسكرتير شخصي للنكولن، وبعد ذلك بكثير كوزير للخارجية في حكومة ثيودور روزفلت.

أنا وشريكي نتناول عشاء عيد الميلاد في كل سنة في فندق هاي-أدامز، الذي بُني في أواخر العشرينيات من القرن العشرين على موقع منزلي هذين الرجلين. اعتدنا في طريقنا إلى أو من العشاء ان نلقي نظرة على شجرة الميلاد في حديقة البيت الأبيض، وهو عبارة عن منزل فخم يقع في وسط المدينة مثلما كان منزل صاحب المطحنة يجلس على تلة في مدن الشركات الأخرى. في إحدى اللحظات خلال سيري كانت عيناي تنجذبان إلى موقع المنزل القديم لعائلة راثبون، وسأفكر في هاتين الحياتين المظلمتين اللتين حاولت أن أعيد تركيبهما في إحدى رواياتي قبل حوالي 15 سنة.

تبعد ساحة لافاييت عن المكان الذي أعيش فيه في فوغي بوتوم حوالي 10 مبان تقريباً- وهي مسافة بالكاد تكفي لهضم عشاء عيد الميلاد. منزلي يقع في "المنطقة التاريخية" من الحي، وهي رقعة من المساكن الصغيرة المبنية من قطع القرميد الصغيرة الحجم في التسعينيات من القرن التاسع عشر عندما كانت المستودعات، وشركات الغاز، ومصانع الجعة تحفل بها المنطقة المحيطة. في هذه الأيام أصبحت هذه المنازل بمثابة أقزام مقارنة بالشقق، ومباني الجامعات، ومركز جون إف. كينيدي للفنون الأدائية الذي يتوهج خلال الليل بنفس الضوء الأبيض الذي يغمر النصب التذكاري للنكولن في الجوار أيضاً.

الإنشاء المستغرب جداً في فوغي بوتوم- والذي بقي قائماً- هو المرصد

أعلاه: البدر يضيء على ثلاثة معالم بارزة في واشنطن. العاصمة. في المقدمة نصب لنكولن التذكاري. وفي الوسط نصب واشنطن. وفي الخلفية الكابيتول الأميركي.

أدناه: صورة جوية تظهر نصب لنكولن التذكاري والمتنزه المحيط به.

في الأعلى إلى اليسار: يستكشف هؤلاء التلاميذ الكنوز التاريخية من خلال التكنولوجيا التفاعلية. ويتمتعون بمشاهدة معرض في مكتبة الكونغرس.

في الأعلى: حافظ المطالبون بالمحافظة على الآثار على مبنى مكتب البريد القديم من الهدم.

في الوسط: أطفال يختلسون النظر من مصعد زجاجي بعد زيارة برج الساعة لمبنى مكتب البريد القديم.

فوق: منحوتات وأعمدة كلاسيكية تزين الواجهة المثلثة لمبنى الكابيتول الأميركي.

البحري الأميركي القديم، حلم الرئيس جون كوينسي أدامز الذي نشأ دون حكمة إلى الحياة على ضفاف نهر البوتوماك الحافلة بالمستنقعات والمغطاة بالضباب، خلال الأربعينيات من القرن التاسع عشر. كانت ممارسة علم الفلك هناك مثل زراعة زهرة الأوركيد في القطب الشمالي او النحت على الثلج على ضفاف نهر الأمازون: كان مراقبو النجوم يضطرون في أحيان كثيرة إلى العودة إلى منازلهم في وقت مبكر لأن تلسكوباتهم كانت عاجزة عن اختراق طبقة الضباب. وبفضل البعوض المنتشر بقرب النهر كانوا يقعون ضحايا للملاريا وحتى بتكرار أكثر من غيرهم من سكان واشنطن. ومع ذلك، ففي صيف 1877، نجح علماء الفلك في تحقيق الاكتشاف المدهش بأن كوكب المريخ له قمران.

ساعد في تحقيق هذا الاختراق استعمال المرصد "لكومبيوترات" – نساء كن يقمن بالحسابات الرياضية التي كان من الممكن ان تُشكِّل بخلاف ذلك عناء كبيراً لعلماء الفلك أنفسهم. كانت إحدى هذه الكمبيوترات- أو على الأقل تجسيداً خيالياً لهن التي قررت ان اسميها سينثيا ماي – التي أصبحت الشخصية الرئيسية في رواية لي سميتها "قمران". تخيلت سينثيا تعيش في نزل على شارع أف وبالكاد تتمكن من تحصيل معيشتها، جزأ من الجيش الجديد للموظفين الذين ضخمت أعدادهم بعد الحرب الأهلية صفوف الحكومة والمنطقة – بما فيه الكفاية بالفعل لجعل واشنطن شيئاً يشبه المدينة الحقيقية للمرة الأولى.

بعد اكتشافها، بدأ سكان واشنطن يتقاطرون إلى تلسكوب المرصد لاختلاس نظرة إلى قمري المريخ، وهو مشهد وفّر لهم ترويحاً عن طقس الصيف الوحشي في العادة. سعى ابراهام لنكولن إلى راحة كونية أعمق من خلال زيارة قبة المرصد للنظر إلى النجم اركتوروس بعد شهر من المجازر في غتيسبرغ، وانا نفسي لا أزال أستطيع أن أرى اشعة الشمس وهي تسطع على القبة. (والآن الخالية من أي تلسكوب) عندما أقود دراجتي الهوائية على امتداد نهر البوتوماك على جانب فرجينيا، لأمرّن رئتي. لم يعد سكان واشنطن يصابون بالملاريا، ولكن مرض الربو شائع هنا، وقد عانيت منه ما يكفي ليجعلني اشعر بأني مواطن أصلي وليس غرسة منقولة. قد تكون النسبة

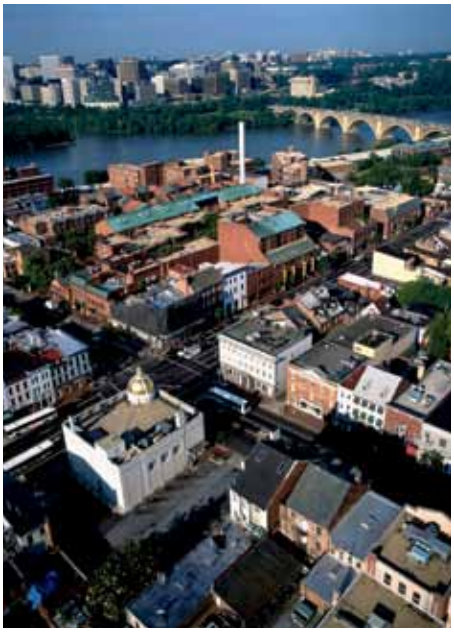

في الأعلى إلى اليمين: مبنى هاري ترومان أصبح مقر وزارة الخارجية الأميركية في أواخر أربعينات القرن العشرين.

فوق: صورة جوية للواجهة البحرية لمدينة جورج تاون تكشف عن تنوع التصاميم المعمارية في هذا الجزء القديم من واشنطن العاصمة.

العالية للإصابة بالربو هي الثمن الذي ندفعه للعيش في مدينة الزهور الرائعة، ففي قدوم شهر نيسان/أبريل عندما تصل براعم الكرز إلى ذروتها، تصبح أقدام السياح أشد على الأرض من أقدام جماعات التأثير السياسي.

ودون أن أكون قد خططت لذلك، بدأت أكتب عن رباعية واشنطن الخيالية، التي يمكن رؤية بعض من أحداثها المحلية، او هكذا تقريباً، من الفناء الأمامي الصغير لمنزلي. فإذا غادرت المرصد واجتزت الشارع ال 23 سوف تصل إلى وزارة الخارجية، وهذا ما فعلته نوعاً ما عندما انتهيت من كتابي "قمران" وبدأت اكتب كتابي "فلو ترافلرز"، كتاب تدور أحداثه داخل تلك الدائرة للحكومة خلال الخمسينيات من القرن العشرين.

اهتمامي الحالي- المباني المنحنية لمجمع واترغيت- يمكن رؤيته عبر نافذة غرفة مكتبي في الطابق الأعلى. في عام 1972، جرت سرقة مكاتب اللجنة القومية الديمقراطية وبقية القصة، كما يقولون، فقد أصبحت من التاريخ او بالنسبة لي، رواية تاريخية.

دوامات هذا المجمع التي كانت مرة في غاية الحداثة، أصبحت تبدو متشققة قليلاً وقديمة العهد في هذه الأيام، تماماً كما تبدو الآن الأشرطة الصوتية التي تُشكِّل قلب فضيحة واترغيت في العصر الرقمي الحالي على انها غريبة تقريباً كورق الرق.

ولكن المباني تبقى، مثل الكابيتول والنصب التذكاري لواشنطن، بمثابة عامل جاذب لعين السائح. يستطيع المرء ان يرى أحياناً، زوارا يستعدون لالتقاط صور لهم أمام هذه المباني، رافعين أياديهم ويلوحون بأصابعهم بحركة النصر القديمة التي استعملها الرئيس نيكسون. كثيراً ما يرتاد سكان فوغي بوتوم هذا المجمع للتسوق في السوبرماركت، او الصيدلية الواقعة على المستوى السفلي له. وبخلاف ذلك، لا يهتمون به أكثر مما يهتم سكان نيويورك بتمثال الحرية او بناطحة السحاب "أمبايرستيت".

مطعم بنز تشيلي بول أصبح معروفاً في جميع أنحاء العالم كمكان "يتعين الذهاب إليه" لتناول حساء التشيلي اللذيذ عند زيارة واشنطن.

أنا لا زلت نيويوركياً بعض الشيء. أمضي بضعة أيام في كل شهر في شقة احتفظ بها في ما اسميه حتى الآن "المدينة"، عالم حضري مختلف تماماً- مضغوط

في الأعلى إلى اليسار: مبنى الإدارة لمؤسسة سميثسونيان، والذي يدعى "القلعة". يقع على طريق المتنزه القومي في واشنطن.

في الأعلى من اليمين: متحف التاريخ الطبيعي، الذي هو أحد متاحف مؤسسة سميثسونيان الأكثر شعبية، يحتفل بالذكرى السنوية المئة في العام 2004.

أعلاه: المتحف القومي الفسيح للطيران والفضاء يتضمن العديد من الطائرات التاريخية وتذكارات الطيران.

إلى اليسار: مركز جون كينيدي للفنون الأدائية يتلألأ تحت ضوء المساء وهو يستعد لاستضافة الأعمال الموسيقية وفرق رقص الباليه، والمسرحيات، والبرامج الثقافية، والمناسبات الخاصة.

وخالٍ من الأشجار- عن العالم الذي لدينا في واشنطن. في مانهاتن، مؤلفو الروايات منتشرون كانتشار النوادل الذين يكافحون لكي يصبحوا ممثلين، أما نحن في واشنطن فنبقى شيئاً غريباً بعض الشيء. فهنا، إذا جرى تعريفك أمام أحد ككاتب، سيكون الافتراض بأنك صحفي سياسي.

المدينتان مختلفتان بعشرات الطرق الكبيرة والصغيرة. ففي نيويورك، تحولت الفنادق في كثير من الأحيان إلى مباني شقق، بينما في واشنطن فان التغيير الذي يبدو على انه أكثر تكراراً فإنه يسير في الاتجاه الآخر. يرى مسافر بالطائرة قادم إلى مانهاتن أنها ترتفع داخل حلقة من ضواحيها المنخفضة الارتفاع كجبل أفرست مدهش، ولكن عندما يسافر الفرد إلى واشنطن فكأنه يكون فوق ملعب رياضي تقريباً. فالعاصمة المبنية بشكل منخفض الملتصقة بالأرض أصبحت مقزّمة بسبب الوحدات السكنية حولها وخارجها. مطار ريغان القومي قريب جداً من وسط المدينة ولكنه، رغم ذلك يقع في ولاية فيرجينيا. قد تكون واشنطن مركز الحكم في البلاد و"عاصمة العالم الحر"، ولكنها بالكاد تدخل قائمة المدن الأميركية الرئيسية. فهي تحتل المركز السابع والعشرين لناحية عدد السكان، أي أعلى قليلاً من لاس فيغاس (مدينة شركة أخرى).

الاستخفاف بواشنطن يتم دائماً بطريقة بلاغية. جون إف. كينيدي سخر منها بعبارته الشهيرة حول "كفاءتها الجنوبية وجاذبيتها الشمالية"، ويتأكد السياسيون المعاصرون من تذكير الناخبين بأنهم يتوقون للعودة "إلى أبعد من البيلتواي"

(الطريق الدائري في واشنطن)، حيث يعتقدون ان التفكير الأوضح والقيم الأسلم تسود. ولكن سكان المدينة، الذين اعتادوا على مشاهدة رؤساء وقادة الكونغرس يأتون ويغادرون، يشعرون في هذه الأيام بإحساس مرض عامة حول المكان. لقد نمت حكومة المقاطعة لتصبح اقل فساداً بدرجة ملحوظَة في السنوات الأخيرة، والندوب المتبقية من شغب عام 1968 التي تبعت اغتيال مارتن لوثر كينغ لم تعد ظاهرة للعيان بمعظمها في وسط المدينة. وحتى في خضم الركود الاقتصادي، فإن رافعات البناء تزين السماء في المدينة.

الخط من جادة بنسلفانيا الذي يمتد أمام البيت الأبيض كان قد أُغلق أمام السيارات حتى قبل أحداث 11/9، وحركة السير- المجنونة بما فيه الكفاية في مدينة مقامة على شبكة تخربها الخطوط القطرية والدوائر لم تتعافَ تماماً. ومع ذلك، فإن المجمع التجاري للمشاة الذي يحد الآن البيت الأبيض جعل من ذلك المبنى يبدو اكثر اقتراباً لعابر السبيل مما كان عليه في السابق.

عندما يكونون في واشنطن، يرغب السياح برؤية ليس البيت الأبيض وحسب بل وأيضاً مكاتب أعضاء مجلس الشيوخ ورجال الكونغرس الذين يمثلونهم- كل واحد من هذه الأماكن يُشكِّل نوعاً من مسكن موقت للاستراحة. يمكن أن يقول المواطنون المسافرون إلى واشنطن، كما قد يقول المرء عن نيويورك، انها "مكان جميل لزيارتها ولكني لن ارغب العيش هناك"، ومع ذلك يقولون هذا بشيء من الفخر، لمعرفتهم بأنه من خلال التفويض الديمقراطي – بفضل الدستور- فإنهم يعيشون هنا بالفعل.

أعلاه: أزهار الكرز تحيط بالنصب التذكاري لجيفرسون بينما العديد من الناس يتمتعون بالتجديف في الزوارق. وهي الهواية المفضلة في واشنطن في فصل الربيع.

فوق: كجزء من مناسبة ذكرى الورود في عيد الأب في كل شهر حزيران/يونيو. حين توضع الورود على النصب التذكاري لقدامى المحاربين في فيتنام لتكريم الآباء الذين لقوا حتفهم في الخدمة العسكرية في حربي فيتنام والعراق.

مكتب برامج الإعلام الخارجي التابع لوزارة الخارجية الأميركية
2010
http://www.america.gov/ar/publications/books.html

Photo credits:

All photographs are credited © AP Images with exception of the following:

Front & back cover: © Fotosearch. Page 2 top: © Derek Shapton. 3 left & center left: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc., center right: Kenny Braun/TxDOT, right: © 2010 Thinkstock. 4 left: Memphis Image Library, center left & center right: © 2010 Thinkstock. 5 both: © 2010 Thinkstock. 8 left: © 2010 Thinkstock. 9 left: © Franz-Marc Frei/CORBIS. 13 top (close up): © Marie Arana. 15 center: Baltimore Area Convention and Visitors Association. 16 top: © 2010 Thinkstock, bottom: Baltimore Area Convention and Visitors Association. 17 all: Baltimore Area Convention and Visitors Association. 18: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc. 19 top (close up): © Tina Klein. 20 top: © 2010 Thinkstock, bottom: Greater Boston Convention and Visitors Center. 22 left: © Amanda Hall/Robert Harding World Imagery/CORBIS. 24: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc. 25 top (close up): © Jon Randolph, bottom: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc. 26 bottom: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc. 27 top: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc. 30: Kenny Braun/TxDOT. 31 top (close up): © Kellye Sanford. 32 bottom: © 2010 Thinkstock. 36: © 2010 Thinkstock. 37 top (close up): Courtesy of Blake Little Photography. 38 bottom: © Robert Landau/CORBIS. 40 top: © David Peevers/Lonely Planet, bottom: © 2010 Thinkstock. 41 top right: © 2010 Thinkstock, bottom: © Lee Foster/Lonely Planet. 43 top: © David Peevers/Lonely Planet, center: © Jerry Alexander/Lonely Planet. 44: Memphis Image Library. 45 top (close up): © Sabrina Jones, bottom: Memphis Image Library. 46 top: © 2010 Thinkstock, bottom: Memphis Image Library. 47 top left, top right & bottom right: Memphis Image Library. 48 top both: Memphis Image Library, bottom: © Lee Foster/Lonely Planet. 50: © 2010 Thinkstock. 51 top (close up): © Jim Virga. 52 top: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc. 53 top: © 2010 Thinkstock. 54 top: © 2010 Thinkstock. 55 top left: © Getty Images. 56 center: © Getty Images. 58: © 2010 Thinkstock. 59 top (close up): Fred R. Conrad/The New York Times/Redux. 60 both: © 2010 Thinkstock. 61 top right & bottom left: © 2010 Thinkstock, bottom right: Courtesy of New Orleans Convention and Visitors Bureau, Jack Edwards. 63 bottom: Courtesy of New Orleans Convention and Visitors Bureau, Richard Nowitz. 65 bottom: © 2000-2010 PhotoSpin, Inc. 72: © 2010 Thinkstock. 73 top (close up): © Mary Randlett, bottom: © 2010 Thinkstock. 75 bottom right: © Atlantide Phototravel/CORBIS. 76 top: © 2010 Thinkstock. 77 bottom right: © Peter Ptschelinzew/Lonely Planet. 78: © 2010 Thinkstock. 79 top (close up): © William Bodenschatz, bottom: © 2010 Thinkstock. 80 bottom: Destination DC/Jason Hawkes. 81 bottom: © 2010 Thinkstock. 82 top right: Destination DC/Jason Hawkes. 83 bottom: Destination DC/Carol Pratt.

المدير التنفيذي : مايكل جاي فريدمان
رئيسة التحرير: ماري تشنكو
مديرة التحرير: شاندلي ماكدونالد
مديرة التصميم: مين تشيه ياو

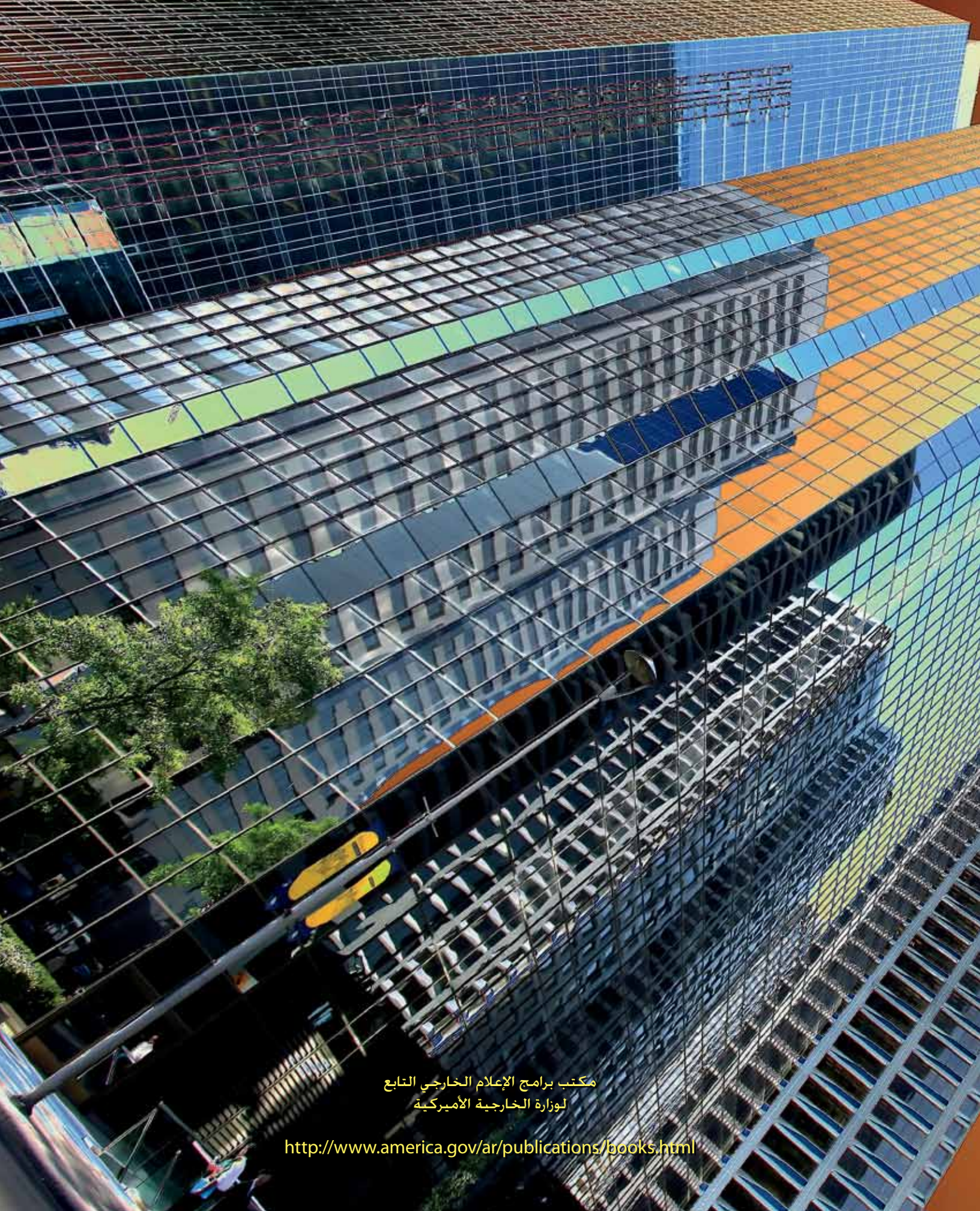

مكتب برامج الإعلام الخارجي التابع
لوزارة الخارجية الأميركية

http://www.america.gov/ar/publications/books.html

مدينتي: كتاب حول المدن الأمريكية

Book spine text. Please adjust type size according to the actual spine width.